المحور السابـع

فقه الأُمَّة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

١١٩

أيــن الخـلل؟

غير مرخصة للطباعة

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

غير مرخصة للطبا
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوَّة الخاتمة

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأناة من الله، والعجلةُ من الشيطان**». رواه الترمذي.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ**». متفق عليه.

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**». رواه أبو داود.

عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». رواه مسلم.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقفة مع الأُمَّة الإسلاميَّة

تابعت باهتمامٍ ما أثارته مَجَلَّة «الأُمَّة» الغرَّاء، منذ كتب الأخ الفاضل د. نعمان السامرَّائي، مقالة: أين الخلل؟ في العدد السادس والأربعين. وقد دعت المَجَلَّة أهل الرأي والفكر إلى المشاركة في هذه القضيَّة حتَّى تستبينَ معالمُها، كما شرَّفتني بالبحث على الإسهام فيها بنصيب.

والقضيَّة خليقة أنْ تُفْرَد بالعناية، وأنْ يمنحها رجالُ الفكر الإسلامي بعضَ وقتِهم وجُهْدِهم. وأحسب أنِّي ممَّن ساهم فيها من قبل ببعض ما كتبت من كتب ومقالات. ولكن الجهد فيها ينبغي أنْ يستمرَّ ولا يتوقَّف.

ولا بدَّ من البداية أنْ نُحدِّد المشكلة الَّتي نبحث عن حلِّها: ما هي؟

أهي البحث عن «الخلل» لنسدَّه، أم نحن نعرف «الخلل» فعلًا ولكنَّنا لا نعرف كيف نسدُّه؟ هل المشكلة في صعوبة «التشخيص» أم في وصف العلاج، أم في الإيمان به والصبر على تناوله مهما يكن مرًّا؟

وبعبارة أخرى:

هل تتجسد مشكلتنا في عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص، أم في عدم وجود الدواء الناجع في اقتلاع الداء؟ أم في أنَّ المريض نفسه غير قابل للدواء، ولا متجاوبٍ مع العلاج؟

QaradawiBooks.com

ثم لا بدَّ أنْ نُحدِّد المحيط الَّذي نبحث فيه عن «الخلل» أو «العلل» أهو محيط الأُمَّة الإسلاميَّة على اتساعها أم هو محيط الحركة الإسلاميَّة، أم هما معًا؟

أعني: من هو المريض الَّذي نَطِبُّ له، والذي نحاول أنْ نُشَخِّص داءه، ونَصِفُ دواءه؟ وأعتقد أنَّنا لا نتحدَّث عن الخليج، ولا عن العرب فقط، ولكن عن أُمَّة الإسلام، حيثما ارتفعت المآذن، ونادى المنادي: الله أكبر.

وإذا كنَّا نبحث في محيط أُمَّتنا الكبرى، فإنَّ كلمة «الخلل» فيها تساهلٌ كبيرٌ لا يُعبِّر عن الواقع الَّذي نعانيه، والأدواء الَّتي تشكو منها.

إنَّه ليس خللًا بل غَيْبة عن الوعي:

إنَّ عبارة «الخلل» عند إطلاقها تعني أنَّ الغاية قد حُدِّدت، وأنَّ الطريق قد اتَّضح، وأنَّ الوسيلة قد هُيِّئت، ولكنَّ الخلل أصاب الوسيلة في وَسَط الطريق.

خذْ لذلك مثلًا: الطالب الَّذي يريد أنْ يسافر ليطلب العلم، وقد عرف أي علم يطلب؟ وإلى أيِّ بلدٍ يذهب؟ وأيَّ طريقٍ يسلُك؟ ولكن سيَّارته الَّتي يمتطيها تعطَّلت في الطريق، إنَّ هناك خللًا ولا بدَّ قد حدث. أهو في المولِّد، أم في «الموتور»، أم في غيرهما؟ لا بدَّ من البحث عنه حتَّى يُعرَف ما هو، فإذا عرفناه عالجناه.

فإذا طبَّقنا ذلك على حال أُمَّتنا الإسلاميَّة، وجدنا الأمر أكبرَ وأعمقَ من مجرَّد «خلل»، إنَّه غَيْبة عن الوعي، إنَّه فقدان الهُويَّة، إنَّه التِّيهُ عن الغاية ومن بعده ـ بالضرورة ـ ضياع الطريق!

QaradawiBooks.com

أُمَّة نسيت نفسها:

إنَّنا إذا نظرنا إلى أُمَّتنا في ضوءِ ما وصفها به الله في كتابه، وجدناها أُمَّة أخرى غير أُمَّـة القرآن، وصفها الله تعالى بالخيريَّـة، وعلَّل خيريَّتَها بأنَّها تأمر بالمعـروف وتنهى عن المنكر وتؤمـن بالله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمـران: ١١٠]. وأُمَّتنا اليـوم ـ إلَّا من رَحِم ربُّـك ـ لا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن المنكر، بل فقدت حسَّها وميزانها، فرأت المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، بل بات فيها من يأمـر بالمنكر وينهى عن المعروف، وغشيتها فتنةٌ تذرُ الحليمَ حيرانَ.

أُمَّتنا وصفها الله بالوسطيَّة حين قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وهي الآن قد تركت المنهج الوسـط، والموقع الوسط لتميل إلى اليمين أو اليسار، وتجنح إلى الشـرق أو الغرب، فتركت «الصراط المستقيم» صراط الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، إلى طريق المغضوب عليهم والضالِّين، واتَّبعت سُنَّتَهم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

وصفهـا الله بالوَحدة حين قـال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبيـاء: ٩٢]. وهي الآن لم تعد أُمَّـةً واحدةً، كما يحبُّ الله، بل أُممًا شتى كما أراد الاسـتعمار، أممٌ تعادي بعضُها بعضًا، بل تقاتل بعضُها بعضًا.

والخلاصة: أنَّ أُمَّتنا نسيت الله فأنساها ذاتها، وصدق الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

QaradawiBooks.com

والحق أنَّه لا معنى لوجود هذه الأُمَّة بغير الإسلام، ولا انتصار لها بغير الإسلام، ولا وحدة لها بغير الإسلام، ولا عزَّةَ لها بغير الإسلام، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر الَّذي قال: «نحن كنا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلَّنا الله»[١]!

أُمَّتنا في ضوء معايير التقدُّم المادي:

وإذا نظرنا إلى أُمَّتنا في ضوء معايير التقدُّم المادي المعاصر، وجدناها وراءَ وراء!

إنَّها لا زالت عالة على الأُمم الأخرى في قوام حياتها الاقتصاديَّة والعسكرية. إنَّها لا تنتج الكفاية من القوت الَّذي به قيام المعيشة، ولا من السلاح الَّذي به حماية السيادة.

إنَّ المسلمين في الأعصر الأخيرة: رضوا بالزرع، وتبعوا أذناب البقر، كما وصفهم الحديث النبوي[٢]، ومع هذا لم يعطهم زرعهم من الثمر، ولا بقرهم من اللبن، ما يغنيهم عن الاستيراد من غيرهم.

أُمَّة معطلة الطاقات:

إنَّ مصيبة الأُمَّة الإسلاميَّة أنَّ طاقاتها ـ برغم كثرتها وضخامتها وتنوعها ـ مُعَطَّلة! ولا أعني بتعطيلها الشلل الكلي، بل الشلل الجزئي؛

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) إشارة إلى حديث ابن عمر: «إذا تبايعتم بالعِينَة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع...». رواه أبو داود في البيوع (٣٤٦٢)، وأبو يعلى (٥٦٥٩)، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٩٦/٥): رجاله ثقات. وقوَّاه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود (١٠٤/٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه (١١).

QaradawiBooks.com

أعني أنَّهـا لا تعمل بكامل طاقاتهـا لتعويض ما فاتها فـي عهود النوم والغفلة، وللحـاق بركب التقدُّم العالمي، وهـو ما يحتم عليها مضاعفة الجهد، وتكثيف العطاء، ولكن أُمَّتنا لا تعمل بنصف طاقتها، ولا بربعها، ولا بخمسها، ولا بعشرها، فأرخص شيء عندها هو الوقت، وأثقل شيء عليها هو العمل، وأقلُّ الثروات قيمة عندها هو الإنسان!

طاقاتنا العقليَّة معطَّلة:

إنَّ طاقاتنا العقليَّة معطَّلـة؛ لأنَّنا نقلِّد، ولا نجتهد، نحاكي ولا نبدع، ننقل ولا نبتكر، نحفظ ولا نفكر، أي نسـتخدم تفكير غيرنا، ولا نفكر نحن لأنفسنا، سواء أكان ذلك الغير أسـلافنا من الماضين أم غيرنا من الحاضرين.

وليس هذا في العلوم «التراثيَّة» وحدهـا، كما يُتوهم، بل في العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة أيضًا، فنحن نحفظ قوانينها، ولا نحسـن الاسـتفادة منها، وحسـبنا أنَّ الغربيِّين يفكـرون ويخترعون لنا، فهم المكتشـفون والمبدعون، ونحن التراجمة!

وكفانا عارًا أنَّ عشـرين دولة تعلِّـم العلوم بلغـات أجنبية، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية، وأنَّ «إسرائيل» ـ دولة المليونين أو الثلاثة ـ تعلِّم العلوم بالعبرية!

حتى العلوم الإنسـانية الَّتي تتلوَّن بتلوُّن كل أُمَّة وعقائدها، وقيمها وثقافتها واختلاف نظرتها إلى الكون ومكونه، وإلى الإنسـان وحقيقته، وإلى الحياة ومصيرها، وإلى المعرفة ومصادرها، هذه العلوم الإنسـانية نقلناها عن الغرب نقلًا حرفيًّا كلٌّ حسـب المدرسة الَّتي أخذ عنها، وإن

QaradawiBooks.com

كانت كلها فروعًا من شـــجرة واحدة، هي شـــجرة المادية الملعونة في التوراة والإنجيل والقرآن.

ونظمنا التعليمية السائدة تساعد على إنشاء هذه العقليَّة المقلِّدة، وقد رأينا أقوى أُمَّة في عالَمنا (أمريكا) ترى نفسها على حافة الخطر، بسبب قصور التعليم فيها عما تنشده لأبنائها، وتتنادى بوجوب درء الخطر الَّذي يواجهها في مســـيرتها التعليميَّة، ولم يُعْمِها صعودها إلى القمر أن ترى ضعف مســـتوى أبنائهـــا علـــى الأرض[1]. ونحن نـــرى ونلمس ضعف المســـتوى التعليمي في مجتمعاتنا إلى حدٍّ مخجـــل ولكنَّنا صامتون أو مشغولون، أو مجاملون.

إنَّ نظمنا التعليمية تخرِّج موظفين، ولا تخرِّج مثقفين، وحتى القراءة فنحن لا نحب أن نقرأ؛ لأنَّ القراءة تتطلب منَّا جهدًا وتفكيرًا، حتَّى نفهم ونتابع، ولكن الكسل عندنا أحلى من العسل!

لقد قال «موشي ديَّان» يومًا لقومه من اليهود، وقد لاموه على بعض تصريحات تكشـــف عن أطماعهـــم وتطلعاتهم، وقد خشـــوا أن يقرأها العرب، ويكشفوا خططهم، قال لهم: اطمئنوا، فإنَّ العرب لا يقرؤون!

والعَجَب من أُمَّة أوَّل آيةٍ نزلت في كتابها: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١] لا تحسن أنْ تقرأ، وإذا قرأت لا تحسن أنْ تفهم، وإذا فهمت لا تحسن أن تعمل، وإذا عملت لا تُحسن أن تستمرَّ!

إنَّ الله تعالى شـــاء أنْ يجعل معجزة الإسلام معجزة عقليَّة أدبية ولم يجعلها معجزة حسِّـــيَّة، كما كان في رسالات سبقت، إعلاءً لشأن العقل

(١) انظر: أمة معرضة للخطر، التقرير الذي أصدره مكتب التربية العربي لدول الخليج، عرض د. يوسف عبد المعطي، نشر مجلة رسالة الخليج العربي، العدد (١٢)، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

في هذا الديـــن، وهذا الكتاب، الَّذي نزل خطابًـــا لأولي «النُّهى» وأولي «الألباب» لا لِلْبُلْه أو الحمقى.

إنَّ الله تعالى قد علَّل انتصار المســـلمين على أعدائهم من المشركين واليهود بأنَّ هؤلاء: ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] أو ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفـــال: ٦٥] فكيف إذا بات المسلمون اليوم وهم أحق الناس بهذا الوصف «لا يعقلون»، و«لا يفقهون»؛ لأنَّهم لم يفقهوا آيات الله المشهودة في كتابه الصامت: الكون، ولا آياته المقروءة فـــي كتابه الناطق: القرآن، وقد أنزلها وفصَّلها ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]!

لقد ابتدعنا في ديـــن الله، والابتداع في الديـــن ضلالة، وجمدنا في شـــؤون الدنيا، والجمود في الدنيا جهالة، وكان الأجـــدر بنا أنْ نعكس الوضع فنتَّبع في أمر الدين، ونبتدع في أمر الدنيا، فروح الدين الاقتداء وروح الدنيا الابتكار والابتداع!

طاقاتنا العمليَّة مُعَطَّلة:

وطاقاتنا العمليَّة معطلة، مع أنَّ الله خلقنا لنعمل، بل خلقنا ليبلونا أيُّنا ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وهذا تعبير له إيحاؤه ودلالته، فليس المراد تمييز ســـيِّئ العمل من حســـن العمل، بل المفترض أنْ يكـــون عمل الجميع حسنًا، ولكن أيُّهم أحسن وأرجح؟

والمســـلم مطالب بالعمل إلى آخر رمق في الحيـــاة، حتَّى لو قامت الساعةُ وفي يده فسيلةٌ، فإن اســـتطاع ألَّا يقوم حتَّى يغرسها، فليغرسْها، كما أمره رسول الله ﷺ[1].

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شرط مســـلم. والبخاري في =

QaradawiBooks.com

والعمل في الإسلام عبادة وجهاد سواء كان عملًا للدين أم للدنيا، إذا صحَّت فيه النيـــة، والتزمت حدود الله تعالى، ولكن أمتنا للأســف أقل الأمم عطاءً وعملًا، وأكثرهـــا كلامًا وجدلًا، نحن نتكلـــم كثيرًا ونعمل قليلًا، وكثيرًا ما نعمل غير المهم، وندع المهم، بل قد نعمل غير النافع، وندع النافع.

ونحن ندور حول أنفســـنا كالثور في الطاحون، أو كالذي حكوه عن جحا وساقيته: «زعموا أنَّ جحا صنع ساقية تأخذ الماء من النهر، ثمَّ ترده إلى النهر، فلما سُئل في ذلك، قال: يكفيني نعيرها»!

ولقد اشتركتُ في عدة مؤتمرات إسلاميَّة عالمية، وصدرت عن هذا المؤتمرات توصيات مبصرة، ولكنَّها ـ إلَّا في القليل النادر ـ لم تر النور، ولم تبرز إلى حيِّز التطبيق، وظلَّت حبرًا على ورق كما يقال. ترى لماذا؟

ألأنَّنا تعوَّدنا حسن الكلام ولم نتعوَّد حســـن العمل، أم لأنَّنا نتكلَّم ونتوقَّع من غيرنا أن يعمل، أم لأنَّنا نقرر ونقدِّر، ثمَّ لا نتابع ماذا حدث فيما قررناه؟

لا أُقلِّل مـــن أهمية الكلمـــة الصادقة المعبرة وتأثيرهـــا، فإنَّ معجزة الإسلام الأولى ـ القرآن ـ إنَّما هي كلام، وأحاديث الرسول الكريم كلام، ولكن لا ينبغي أنْ يطغى الكلام على العمل، ولعل هذا بعض الســـر في نزول القرآن الكريـــم منجمًا في ثلاث وعشـــرين ســـنة؛ ليتيح الفرصة للمؤمنين أن يحوِّلوا كلمـــات الله المنزلة إلى عمـــل صالح، وإلى حياة

= الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

نابضة ناطقة، حتَّى وصفت عائشة الرسول ﷺ بكلمتها الشهيرة المعبِّرة: «كان خُلُقه القرآن»[١]!

ومن كلمات المعاصرين الحيَّة وصف الصحابة رضي الله عنهم بأنَّ الواحد منهم كان قرآنًا يسعى على قدمين!

إنَّ الكلام لا بدَّ منه، وإنَّ الحرب أولها كلام كما قال الشاعر. ولكنَّ الكلام يُذمُّ إذا كان أكثر من العمل، ويُذمُّ أكثر إذا كان بلا عمل، ويُذم أكثر وأكثر إذا كان مناقضًا للعمل، وفي هذا جاء وعيد الله يُدوِّي ويُنذِر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

طاقاتنا الاقتصاديَّة معطلة:

طاقاتنا الاقتصاديَّة معطلة، فنحن نعيش في أهم بلاد الله موقعًا، وأطيبها بقعة، وأخصبها أرضًا، وأحفلها بالمعادن المذخورة في باطنها، والثروات المنشورة في ظاهرها، ولكننا لم نستغل ثرواتنا، ولم نزرع أرضنا، ولم نصنع المعادن والمواد «الخام» المستخرجة من أرضنا. وما نزرعه من أرضنا ـ وهو قليل من كثير ـ لا نزال نزرعه ـ في غالب الأمر ـ بطريقة أجدادنا! وكثيرًا ما نجور على الأرض الحيَّة الخضراء فنحيلها إلى مبان ومنشآت، ونعجز عن تحويل الأرض البور إلى أرض مزروعة، وهو ما سمَّاه الفقه الإسلامي «إحياء الموات»، أي أنَّنا نميت الأرض الحيَّة ولا نحيي الأرض الميتة!

أصبح الطابع الغالب علينا: أنَّنا نستهلك ولا نُنتِج، ونستورد ولا نُصنِّع، وقد نُنتِج ما لا نحتاج إليه ونُهمِل إنتاج ما نحن في أشد

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٥٣٠٢).

QaradawiBooks.com

الحاجة إليه، ونفتخر باقتناء أفخر السيارات العالمية، ونحن لا نحسن صناعة دراجة!

فلا غرو أنْ يهلك الملايين منَّا جوعًا، وبلادنا زراعية، ما دمنا عاجزين عن حفر بئر في الأرض، منتظرين المطر من السماء، وما دمنا نهتم بمظاهر الرفاهية لا بمصادر الإنتاج، كالذين حكى الله عنهم من أصحاب القرى الظالمة الَّتي دمَّرها على أهلها: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وكان أولى بهم أن يهتموا بالآبار ومصادر المياه قبل تشييد القصور!

ولا غرو أن يصبح العالَم الإسلامي كله في دائرة «البلاد النامية». وكلمة «النامية» تعبير مؤدب لـ «المتخلِّفة» الَّتي تركب الجمال والحمير، وغيرها يركب سفن الفضاء، وإذا ركبت السيارات والطائرات فهي ليست من صنعها. أليس من المؤسف المحزن أن نظل إلى اليوم عالة على غيرنا، فلا نزرع من الحبوب ما يكفي غذاءنا، ولا نقيم من الصناعات ما يحمي ذِمارنا؟

لقد رأينا عددًا من بلاد المسلمين في أفريقيا يسقط فيها هلكى تحت مطارق المجاعة والجفاف حيث لا يجدون ما يمسك الرمق، أو يطفئ الحرق، وكان في الإمكان ـ لو فكَّروا في الأمر من قبل وخطَّطوا له ـ أنْ تحفر آبار، وتدق أنابيب تستخرج بها المياه من جوف الأرض، فإذا لم ينزل الغيث من السماء وجدوا فيما يستنبط من الأرض عوضًا.

ورأينا مسلمين آخرين ـ لوفرة ما تنتجه بلادهم ـ يتخلصون من الثمار بدفنها في الأرض؛ لأنَّهم لا يستطيعون تصنيعها، ولا يستطيعون حفظها، ولا يستطيعون نقلها!

QaradawiBooks.com

أليس هذا من العجز الَّذي استعاذ منه ﷺ حين قال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من العجز والكسل**»[١]، ونهى عنه، فقال: «**استعنْ بالله ولا تَعْجِز**»[٢]، وقال: «**إنَّ الله يلومُ على العجز، ولكن عليك بالكَيْس**»[٣]؟

وإذا كان كل بلد عاجزًا إذا عمل وحده، أفلا تتكون من مجموع هذه البلاد قوة؟ ثمَّ أين التكامل والتعاون بين البلاد الإسلاميَّة؟

طاقاتنا العدديَّة مُعَطَّلة:

وطاقاتنا العدديَّة مُعَطَّلة، فنحن ـ وإن كنَّا ألف مليون مسلم ـ تفرَّقنا طرائق قددًا.

عمينا عن نور الله، فتقسمتنا ظلماتُ الطواغيت، وأعرضنا عن صراط الله الواحد، فتفرَّقت بنا السُّبُل المتعدِّدة، فمالت ببعضنا إلى اليمين، وانحرفت بآخرين إلى اليسار، وانحاز جماعة إلى الشرق، وآخرون إلى الغرب، ونسينا تحذير الله لنا: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]. تفرَّقنا، والتفرق يضعف الكثرة، كما أنَّ الاتحاد يقوِّي القلة.

لم نتكامل ولم نتعاون، ولم نتلاحم، في عصر يتكلم بلغة الكتل الكبيرة، ولا تستطيع القلة فيه أنْ تعيش وحدها، ولهذا رأينا الدول المتقدمة تقيم فيما بين بعضها وبعض الأحلاف العسكرية، والأسواق الاقتصاديَّة إلى جوار التكتلات السياسيَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٣٩٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأقضية (٣٦٢٧)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

QaradawiBooks.com

أما نحن فقد انقسمنا قوميًّا بين عرب وعجم، وفكريًّا بين تقدميين ورجعيين، وسياسيًّا بين موالين للغرب وموالين للشرق. إلى غير ذلك من أنواع التمزُّق والانقسام.

كان المفروض أنْ نستفيد من طاقاتنا العدديَّة، وقد قال جمال الدين الأفغاني يومًا للهنود: «لو كانت ملايينكم ذبابًا يطنُّ في أُذُن الإنجليز لخرقتم آذانهم»!

ولكننا لم ننتفع بهذه القوة البشرية الضخمة؛ لأنَّنا جعلنا الكثرة كارثة وهي في الأصل نعمة، ألا ترى القرآن يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

أصبح أكبر همِّ الكثيرين منَّا من زاعمي الإصلاح ـ لا زعمائه ـ أنْ نُقلِّل عددنا ونُحدِّد نسلنا! وفي الأرض أمم ضخمة لم تَشْكُ من كثرة سكانها كما نشكو. بل اجتهدت أن توظف الكثرة في خدمة الإنتاج.

طاقاتنا الروحية معطلة:

وقبل ذلك كله وبعده، طاقاتنا الروحية معطلة، فقد أعلينا الطين والحمأ المسنون فينا على نفخة الروح، الَّتي هي سِرُّ تكريم الله لأبينا من قبل، ولنا من بعد: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

هبَّت رياح المعصية، فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا، وطال علينا الأمد فقست قلوبنا من بعد، كما قست قلوب أهل الكتاب من قبل: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

ولم تساعد مناهجنا التعليمية، وأجهزتنا التوجيهية على تكوين «المعاني الربانية» في أنفسنا، وصدق ما قاله المفكر الشاعر المسلم محمد

QaradawiBooks.com

إقبال حين قال عن «المدرسة الحديثة»: إنَّها قد تفتح أعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف، ولكنها لا تعلِّم عينَه الدموع، ولا قلبه الخشوع[١]!

أسأنا فهم الدين ـ الَّذي هو روح وجودنا، وسرُّ بقائنا وتميزنا ـ حتَّى شُغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب، مع أنَّ أهم ما جاء به ديننا هو تطهير القلوب، وتزكية الأنفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

فإذا تغيَّرت هذه الأنفس، تغيَّر المجتمع، وتحوَّل مجرى التاريخ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

صحيح أنَّنا نحتفل بالأعياد والمواسم الدينيَّة، ونعطل الدوائر الرسميَّة ـ في أكثر بلاد الإسلام ـ أيام الجمع والأعياد، ونطبع المصاحف والكتب الدينيَّة إلخ، ولكن هذا لا يعني أنَّنا أعطينا للدين حقَّه، ووقفنا عند حدوده، فنحن نحتفل به ونتمرَّد عليه، كالذي يقبل يد الشيخ ولا يسمع نصحه، وأخشى أن يسلكنا ذلك في زمرة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١].

وأَسوء ما يصيب حياة أُمَّة أن يصبح الدين فيها لهوًا، ويصبح اللهو فيها دينًا.

وكيف لا؟ وقد أصبحنا نُزيِّن جدراننا بآيات القرآن، ولا نُزيِّن حياتنا بالعمل بالقرآن. نقرؤه على الأموات، ولا نُحكِّمه في الأحياء! نجعل البركة في مجرد حمله أو تلاوته، وإنما البركة الحقيقية في اتباعه وتحكيمه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

---

(١) روائع إقبال للشيخ أبي الحسن الندوي صـ٥٦، نشر دار الفتح، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

اجترأنا على الله تعالى، فعطَّلنا شـــريعته، وجمَّدنا أحكامه، وتطاولنا على علمه وحكمته، حتَّى كأنَّنا أعلم بالخلق وبمصالحهم منه: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وطالما قلت، وســأظل أقول: إنَّ مفتاح شــخصية هذه الأُمَّة ومفجِّر طاقاتها هو الإيمان، إيمانُ الإســلام، الَّذي جعل هذه الأُمَّة من قبل خير أُمَّة أُخرجت للنــاس، وحقَّق لها النصر على أعظــم الإمبراطوريات في الأرض، على الرغم من قلة عددها، وضعف عُدَّتها.

وبهذا الإيمان انتصرت بعد على هجمات التتار الزاحفين من الشرق، والصليبيِّين الزاحفين من الغرب، وبه تستطيع اليوم الانتصار على ورثة هؤلاء وهؤلاء.

استغل اليهود طاقاتهم الروحية ودوافعهم الدينيَّة، فأيقظوا بها أُمَّتهم من ســبات، وجمعوا بها طوائفهم من شــتات، وأحيوا بهــا لغتهم من موات، حتَّى واجهونا ومعهم التوراة، وليــس معنا القرآن! تجمعوا على اليهوديَّة وتفرَّقنا عن الإسلام! تشبَّثوا بتعاليم التلمود، وسخرنا نحن من البخاري ومســلم! قال زعماؤهم في اعتزاز: هكذا علَّمنا أنبياؤنا، واعتز زعماؤنا بماركس ولينين!

نحن نملك أعظــم عقيدة، وأكمل رســالة، ولدينــا الكتاب الإلٰهي الوحيد المحفوظ من التحريف والتبديل، ولكنَّنا في غمرة ساهون، وعن مصادر قوتنا غافلون.

نحن كثرة، ولكن كما وصفنا الحديث النبوي: «**غثاءٌ كغثاء السيل**»[(١)].

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

وسرُّ ذلك يرجع إلى خراب الباطن من قوة الإيمان الَّذي يُصغِّر لدى المؤمن الدنيا، ويُحبِّب إليه الموت في سبيل الله، والذي سمَّاه الحديث «الوهْن»، وفسَّره بأنَّه: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»[1].

ولا عجب أنْ يهزم ألف مليون من «غثاء السيل» أمام ثلاثة ملايين من اليهود!

من المسؤول؟

ذلكم هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغَيْبَة عن الوجود، فمن المسؤول عنه؟

ونحن لا نريد تحديد المسؤولية هنا عن ضياع أُمَّتنا وتعطيل طاقاتها، لنحاكم المسؤولين عنه، محاكمة ثورية أو شعبية، فمهمَّتنا مهمة الدعاة، لا مهمة القضاة، وما نريد إلَّا أن نعرف من أين أُتِينا؛ حتَّى نسد موقع الخلل، ونعالج مواضع الداء، ونتَّقي مكامن الخطر.

مسؤولية الحكام:

هل تقع المسؤولية على الحكام وأصحاب السلطان؟

إنَّ الأكثريَّة تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه، وذلك لجملة أسباب:

الأول: أنَّ النَّاس عادة يحبون أن يُبرِّئوا أنفسهم ويُحمِّلوا المسؤولية لغيرهم؛ ولهذا تحبُّ الشعوب أن تحمِّل عبء تبعتها على عاتق حكامها.

(١) جزء من الحديث السابق.

QaradawiBooks.com

الثاني: أنَّ شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير، فهي تنفِّس عن نفسها حين تحمِّلهم إثم ما أصابها.

الثالث: أنَّ المسؤولية بقدر المُكْنَة والسلطة، والحكام قد مُكِّنوا وسُلِّطوا، ولكنَّهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم، لم يكونوا كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

ولا ريب أنَّ الحكام يحملون قسطًا كبيرًا، وربما القسط الأكبر، مما نحن فيه، ولكن من المؤكد أيضًا أنَّ الحكام في الغالب أشبه بشعوبهم، وهم إفراز مجتمعاتهم، حتَّى الحكام الَّذين يُفرضون على شعوبهم، إنَّما يستمر حكمهم بممالأتها لهم أو على الأقل سكوتها عنهم، وقد ورد: «**كما تكونوا يُولَّى عليكم**»[(١)].

مسؤولية العلماء:

هل تقع المسؤولية على العلماء؛ لأنَّهم ورثة الأنبياء، ودعاة الحق، وهداة الخلق الَّذين أخذ الله عليهم الميثاق ليُبَيِّنُنَّ دين الله للناس ولا يكتمونه؟

بيد أنَّ مِن العلماء مَن قصَّر في واجب البيان والبلاغ، ومنهم مَن مشى في ركاب السلطان، وجعل العلم خادمًا للسياسة، وجعل من نفسه جهازًا لتفريخ «الفتوى حسب الطلب».

والحقيقة أنَّ علماء اليوم لم يعودوا وحدهم في الميدان كما كانوا في العصور الماضية، فقد غدا الَّذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة

(١) رواه الصيداوي في معجم الشيوخ صـ ١٤٩، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ. وضعَّفه العجلوني في كشف الخفاء (١٢٦/٢)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

والمرئية في أجهزة الإعلام أشد تأثيرًا في الجماهير من أصحاب المنابر، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها.

كما أنَّ مشكلة علماء اليوم أنَّهم أصبحوا موظفين لدى الحكام؛ فهم الَّذين يملكون توليتهم وعزلهم، وليسوا كعلماء السلف الَّذين اشتغلوا بالحِرَف والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم.

ولقد سئل أحد الولاة عن سرِّ قوة الإمام الحسن البصري وشموخه، فقال الوالي في صراحة: احتجنا إلى دينه واستغنى عن دنيانا[١]!

فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام، من دنيا، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين؟!

على أنَّ من العلماء من أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ولقي في سبيلها من العذاب ما لقي، بل منهم من قدَّم رقبته في سبيل الله!

مسؤولية الجماهير:

هل تقع المسؤولية على الشعب، أي على الجماهير؟

الواقع أنَّ المسؤولية مشتركة، تحمل كلُّ الأطراف منها نصيبًا، على قدر ما لديها من إمكانات، فمسؤولية العالِم أكبر من مسؤولية الجاهل، ومسؤولية ذي السلطة أكبر من مسؤولية من لا سلطان له، ومسؤولية ذي المال أكبر من مسؤولية من لا مال عنده، وإن كان الكلُّ مسؤولًا.

والنبي ﷺ يُحمِّل المسؤولية للجميع كلٍّ في موقعه: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٢].

(١) فيض القدير (٤٨١/١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

والإسلام لا يعرف طبقة خاصة يعتبرهم وحدهم «رجال الدين» المسؤولين عنه، بل كلُّ مسلمٍ رجلٌ لدينه، والأُمَّة كلها مسؤولة بالتضامن عن فرائض الله وأحكام شريعته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [التوبة: ٧١].

ولقد ذكرت مرة أنَّ أحد المستمعين قال لأحد الدعاة بعد محاضرة ألقاها: قد مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تتكلمون، فماذا صنعتم؟ وكان جواب الداعية مفحمًا حين قال: وأنتم مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تسمعون فماذا صنعتم؟!

وهذا حقٌّ، فإنَّ على المستمع، كما على المتكلم، مسؤولية تحويل الكلام إلى عمل، والأفكار إلى وقائع، وإن اختلفت درجة المسؤولية.

مسؤولية الحركة الإسلاميَّة:

وهنا قد تشير الأصابع إلى الحركة الإسلاميَّة الحديثة، تحمِّلها مسؤولية ما تعانيه الأمة المسلمة من التيه والتمزق والضياع، وكان الظنُّ بها أن تقود مسيرتها إلى برِّ السلامة، وأن تتحقق على يديها الأحلام، وتزول الآلام بعد أنْ وثقت بها الجماهير الغفيرة، والتفت حولها عشرات الألوف من رهبان الليل وفرسان النهار، وبعد أن مضى عليها من الزمن ما يكفي لنضجها وبلوغها رشدها.

وهنا لا بدَّ من وقفة للمحاسبة مع الحركة الإسلاميَّة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقفة مع الحركة الإسلاميَّة

كان الأمل معقودًا على «الحركة الإسلاميَّة» أن تقود سفينة الأُمَّة الإسلاميَّة إلى الغاية المرجوة على الطريق الصحيح، الموصل إلى شاطئ الأمان، ومعها «البوصلة» الهادية من كتاب الله وسُنَّة رسوله، و«الخريطة» المفصلة من شريعة الإسلام وتراثه الخالد، ولا أعني بـ«الحركة الإسلاميَّة» حركة معينة تكاد تستأثر بهذا الوصف، مثل حركة «الإخوان المسلمين» أُمِّ الحركات الإسلاميَّة الحديثة وكبراها، كما سمَّاها د. إسحاق موسى الحسيني في كتابه الَّذي كتبه عنها منذ أكثر من ثلث قرن، وإنَّما أعني بالحركة الإسلاميَّة بالخصوص: مجموع العمل الإسلامي الجماعي الشعبي المحتسب، المنبثق عن ضمير الأُمَّة، والمعبِّر بصدق عن شخصيتها وآلامها وآمالها، وعقائدها وأفكارها، وقيمها الثابتة، وطموحاتها المتجددة وسعيها إلى الوحدة تحت راية العقيدة منذ هُدِمت قلعة «الخلافة».

ويدخل في هذا الإطار كل الجماعات العاملة لتجديد الدين، وتحكيم شريعته وإحياء الأُمَّة به، والعودة به إلى مكانه الطبيعي والتاريخي في قيادة المجتمع وتطبيقه في كلِّ مجالات الحياة: اعتقادًا وتعبُّدًا، وخُلُقًا وسلوكًا، وفكرًا وشعورًا، وتشريعًا وتوجيهًا، وقضاءً وتنفيذًا.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ الحركة الإسلاميَّة لم تستطع أنْ تصل بالسفينة إلى الشاطئ المأمول والمأمون، وتُحقِّق كل الآمال الكبيرة المعقودة عليها، والتي رجاها النَّاس منها ورجتها هي من نفسها.

وكثر الكلام حول هذا الإخفاق وأسبابه، من أبناء الحركة، ومن خصومها: أهي أسباب من خارج الحركة؟ كالذي يصيب السفينة في عرض البحر من أعاصير أو صخور أو تيارات أو قراصنة مسلَّحين، أو غواصات معادية، أو غير ذلك من العوارض الَّتي تفوق قدراتها وتعترض سيرها، وتجعلها تُغيِّر طريقها، وقد تُحدِث فيها من الأضرار ما لم يكن في الحسبان، وقد تودي بها وبرُبَّانها وملاحيها وركابها ـ كلهم أو بعضهم ـ إذا لم يُقدِّر الله لها النجاة.

أمْ هي أسباب ذاتية من داخل الحركة نفسها؟ على معنى أنَّ العيب في السفينة ذاتها، حيث لم تُعَدَّ إعدادًا كافيًا لملاقاة الأنواء والعواصف عند اللزوم، أو العيب في الربَّان؟ أو الملاحين الَّذين مالوا بها في طريق الصخور أو التيارات الخطرة، ولم يُقَدِّروا هذه الاحتمالات حقَّ قدرها؟

لعلَّ الإنصاف ودراسة الواقع عن كَثَب يقولان: إنَّ الأمرين معًا قد وُجِدا؛ الأسباب الخارجية، والأسباب الداخلية.

ولا يجوز لنا إذا أرَّخنا للحركة أو نقدناها أنْ نهمل أحدهما أو نضخمه على حساب الآخر، ونحن في هذه القضيَّة ـ كما في غيرها ـ نقع بين طرفي الإفراط والتفريط.

فمنَّا من يُنكِر أيَّ تأثير خارجي، ويرى أنَّ هذه تخيلات وأوهام، كتخيلات العرب قديمًا للغول والعنقاء! حتَّى قال لي صديق يومًا: ليس

QaradawiBooks.com

هناك شيء اسمه «الصليبيَّة» الَّتي تصوِّرونها، وإنما هناك مصالح ـ فقط ـ تُوجِّه الناس. وهو قول يُكذِّبه ما لا يُحصى من الوقائع والوثائق.

وفي مقابل هؤلاء من يحصر الأسباب كلها في التدخلات الخارجية وتأثيرها على السلطات الحاكمة في الداخل. ويبالغ هذا الصنف أحيانًا في تضخيم دور هذه القوى الخارجية حتَّى تكاد تحسبها القدر الأعلى الَّذي له الخلق والأمر، وأنَّ كل القادة والسياسيِّين الَّذين نراهم يحكمون ويأمرون إنَّما هم «عرائس» تُحرِّكها أصابع خفية بخيوط غير منظورة، أو هم بعبارة أخرى: أحجار على رقعة الشطرنج. وفي النهاية: لا عيب في الحركة ولا عليها، وليس عليها أنْ تحاسب نفسها أو تراجع خططها وسياستها.

والاعتدال بين الفريقين هنا هو الأولى، بل هو الموقف الصحيح الَّذي يوجبه العلم والعدل.

مدى مسؤولية الحركة:

وأعتقد أنَّ من غير العدل أن تُحمَّل الحركة الإسلاميَّة مسؤولية كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزُّق وتخلُّف، الَّذي هو حصيلة عصور الجمود، وعهود الاستعمار وعهود الحكم العلماني بعد الاستقلال.

الحركة الإسلاميَّة عليها، ولا شك قدر من المسؤولية يوازي ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيَّأها الله لها، استخدمت بعضها، وأهملت بعضًا آخر، وأساءت استعمال بعض ثالث.

ولكن الحركة الإسلاميَّة لها بعض من العذر ـ قد يقل وقد يكثر ـ فيما قصَّرت فيه أو قصرت عنه، وأخفقت في تحقيقه.

QaradawiBooks.com

الحركة الإسلاميَّة ليست هي العامل الوحيد ولا العامل الأقوى المؤثر في سير الأحداث في الأُمَّة الإسلاميَّة، إنَّها تيار من تيارات، وحركة من الحركات.

وهي حركة تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام في الداخل، وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام في الخارج، وهي نتيجة لذلك لا تكاد تخرج من محنة إلَّا دخلت في محنة، وقبل أن تندمل جراحها تصاب بجراح جديدة.

على أنَّه لا ينبغي أنْ نجعل النجاح والإخفاق هما مقياس الصواب والخطأ، ومعيار الحق والباطل، فمن نجح فهو مصيب، ومن أخفق فهو مخطئ، فهذا مقياس مردود يردُّه الدين والمنطق والتاريخ والواقع، فالحركات الإسلاميَّة قبل كل شيء هي دعوة للناس أن يقوِّموا العوج، ويصلحوا الفساد، ويتداركوا ما ضاع.

وصاحب الدعوة قد ينجح، وقد يخفق، قد يجد الاستجابة، وقد لا يجد إلَّا الرفض. وهذا نبيُّ الله نوح يبذل أقصى ما عنده في دعوة قومه، بمختلف الأساليب، وفي مختلف الأوقات، فلا يجد إلَّا الصدود والإعراض حتَّى لدى أقرب الناس إليه: زوجه وابنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

والمؤمنون الَّذين ذكرهم الله في سورة البروج قد ضحوا بأنفسهم في سبيل الله، ولم يُحقِّقوا في حياتهم نجاحًا لدعوتهم.

كذلك ذكر القرآن أنَّ من رسل الله من لقوا حتفهم وظفروا بالشهادة على أيدي أعدائهم: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

QaradawiBooks.com

وليس معنى هذا أنَّ الحركة الإسـلاميَّة مبرَّأة من كل مأخذ، أو أنَّها فوق النقد والنصح، كما يتوهم بعض المخلصين من أتباع الحركة، حيث يخلط بين الحركة الإسلاميَّة والإسلام ذاته، فنقد الحركة يعني لديه نقد الإسلام. كما يصنع هذا بالفعل بعض العلمانيين الَّذين ينقدون الحركة، فينقدون الإسلام وأحكامه وشرائعه.

إنَّ الحركة الإسلاميَّة ليست إلَّا حركة بشر يجتهدون لنصرة الإسلام وتحقيق رسالته في الحياة، ويتخذون من الوسائل كل ما يرون أنَّه أقرب إلى تحقيق أهدافهم في خدمة دينهم، ولم يدَّعوا أنَّ اجتهادهم هذا وحي لا يقبل المناقشة، كما لم يزعموا أنَّ أحدًا منهم يؤخذ منه ولا يرد عليه.

ولهذا كان علينا أن نبحث داخل جسـم الحركة عن الأسباب الذاتية الَّتي عاقتها عـن بلوغ غاياتها في إقامة المجتمع الإسـلامي المنشـود واستئناف الحياة الإسلاميَّة القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته. وأجتزئ هنا بجملة من الأسباب البارزة:

أولًا: ضعف النقد الذاتي:

أول ما يشـكو منه ذوو البصائـر داخل الحركة الإسـلاميَّة بمعناها الواسع أنَّ النقد الذاتي فيها ضعيف إن لم يكن غائبًا في بعض الأحيان.

والنقد الذاتي بتعبيرنا الإسـلامي هو محاسـبة النفس، وهو شـأن «النفس اللوَّامة» الَّتي نوَّه بها القرآن، وجاء في الحديث: «**الكيِّس من دان نفسه**»[1]، أي حاسبها.

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسـن. وابن ماجه في الزهـد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

وقال عمر: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم»[١].

وقال بعض السلف: المؤمن أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطانٍ غاشم، ومن شريكٍ شحيح[٢].

وكما أنَّ على الفرد أن يحاسب نفسه على تفريطه في جنب الله، أو تقصيره في حقوق الناس، محاولًا أن يجعل يومه خيرًا من أمسه، وغده خيرًا من يومه، فإنَّ على الجماعة أن تحاسب نفسها كذلك.

والله قد عصم هذه الأُمَّة أن تجتمع على ضلالة، ولكنَّه لم يعصم أي جماعة منها أن تُخطِئ أو تضل، وخصوصًا في القضايا الاجتهادية الَّتي تتعدَّد فيها وجهات النظر، وتعتبر المواقف فيها قابلة للصواب والخطأ.

والخطأ إذا كان عن اجتهاد فصاحبه مأجور عليه، فردًا كان أو جماعة. ولكن الاجتهاد في مجال العمل كالاجتهاد في مجال الفتوى، يتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال.

والخطأ يمكن أن ينشأ عن الضعف البشري وهو لا ينافي الإيمان أو التقوى؛ لأنَّه من لوازم البشرية وكل بني آدم خطَّاء، وقد زلقت إليه أقدام من هم أكمل منَّا إيمانًا، وأرجح عند الله ميزانًا، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهو ما سجَّله عليهم القرآن الكريم في عزوة أُحُد بقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقد علَّق القرآن على

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٠٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، من قول ميمون بن مهران، تحقيق المستعصم بالله أبي هريرة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

بعض مظاهر الضعف الَّتي بـدت منهم فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقد قال بعض الصحابة: «ما كنت أعرف أنَّ فينا من يريد الدنيا حتَّى نزلت هذه الآية»(١).

وينبغي للحركة الإسـلاميَّة أن تقف بين الحين والحين مع نفسـها للتقويم والمراجعة، وأن تشجِّع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مُرًّا، والنقد وإنْ كان موجعًا، كما كان عمر رضي الله عنه يقـول: «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي»(٢).

والحركة الإسـلاميَّة ليسـت ملك نفسـها، وإنما هي ملـك الأُمَّة الإسلاميَّة كلها، وملك الأجيال الإسـلاميَّة القادمة أيضًا، فمن حقها أنْ تعرف ما في هذه الحركة من مواضع القـوة، وما يؤخذ عليها من نقاط الضعف، لتأخذ منها العبرة.

بعض المخلصيـن من أتباع الحركة الإسـلاميَّة يخافون من فتح باب النقد الذاتي أن يلجه من يحسنه ومن لا يحسنه، فقد يفسد أكثر ممَّا يصلح.

---

(١) رواه أحمد (٤٤١٤)، وقال مخرِّجوه: حسـن لغيره. وابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٩٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٧٢): فيه عطاء بن السـائب، وقـد اختلط. والقائل عبد الله بن مسعود.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وهذا هو العذر نفسه الَّذي جعل بعض العلماء قديمًا يتواصون بسدِّ باب الاجتهاد حتَّى لا يدخل منه الأدعياء والمتطفلون، فيقولوا على الله ما لا يعلمون، ويفتوا بغير علم، فيَضِلُّوا ويُضِلُّوا.

والواجب هنا وهناك أن يفتح البـــاب لأهله القادرين عليه، ولا يبقى في النهاية إلَّا النافع، ولا يصـــحُّ إلَّا الصحيح: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ويخافون كذلـــك أن يصـــوَّر النقد لأفـــكار بعض قـــادة الحركات الإســـلاميَّة بصورة الاتهام لهم، أو الوقوف مع خصومهم ضدهم، فمَنْ نقد رأيًا لمثل «حسن البنا» أو «أبي الأعلى المودودي» أو «سيد قطب»، أو «مصطفى السباعي»، أو غيرهم من القادة الفكريِّين والحركيين، فكأنَّه يوجه اتِّهامًا إلى هؤلاء، أو يطعن في إمامتهم وبطولتهم.

مع أنَّ نقد الفكر ـ ســـواء كان علميًّا أم حركيًّا ـ لا يعني بحال النيل من مكانة صاحبه علميًّا أو دينيًّا أو خُلُقيًّا.

على أنَّ فكر هؤلاء لم يعد مِلكًا لهم، بل هو مِلك الأجيال المسلمة، فمـــن حقها ـ بل مـــن واجبها ـ أن تعـــرف ما فيه من مواطـــن الإجماع والخلاف، والقرب من الصواب أو البعد عنه.

وأصحاب هذه الأفكار والمناهج لم يزعموا يومًا لأنفسهم العصمة، ولم يضفوا على آرائهم واجتهاداتهم أي لون من القداسة، بل أكَّد حسن البنا في «الأصول العشرين» أنَّ كلَّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا النبيَّ ﷺ[1].

(١) رســـالة التعاليم صـ ٢٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حســـن البنا، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

وسـيِّد قطب غيَّر من مواقفه الفكرية خلال مراحـل حياته الحافلة، وانتقل من مجرد أديب ناقد مبهور ببلاغة القرآن «مرحلة التصوير الفني» و«مشاهد القيامة في القرآن» إلى كاتب إسلامي يدعو إلى عدالة الإسلام ونظامه للحياة «مرحلة العدالة الاجتماعيَّة والسلام العالمي في الإسلام»، ثمَّ إلى داعية حركي لـه أفكاره الخاصة في منهـج التغيير والنظرة إلى المجتمع، والدعوة إلى العقيدة بدل الدعوة إلى النظام «مرحلة المعالم»، والطبعة الثانية من «الظلال». وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه. فقال له أحدهم: إذن أنت لك مذهبان: قديم وجديد كالشافعي، فقال له: نعم، ولكن الشافعي غيَّر في الفروع، وأنا غيَّرت في الأصول[1]!

ومن يدري لعلَّ الباحـث الناقد يجد أنَّ مذهبـه القديم ـ في بعض القضايا على الأقل ـ أدنى إلى الصواب من مذهبه الجديد.

والمودودي رحَّب بنقد السـيد «أبي الحسـن النـدوي» في بعض ما كتبه، ولم يضق به ذرعًا، كما ضاق أتباعه بذلك.

ويخافون كذلك أن يستغل خصوم الحركة هذا النقد الذاتي للتشويش على الحركة ورجالها، فهم يجمعون نقاط الضعف، ويعرضونها من وجهة نظرهم، مكبَّرة مضخَّمة، غير منسوبة إلى محيطها وظروفها ودوافعها.

وقد لمسـتُ بنفسـي هذا فـي بعض ما كتبتـه في كتابـي «الحل الإسلامي» عن عوائق الحركة الإسلاميَّة من داخلها، فأخذها بعض ذوي النزعة اليسارية، فقدَّم فيها وأخَّر، وحذف واختصر، وقدَّمها على طريقة الشاعر السِّكِّير الَّذي قال:

(١) ذكر ذلك د. محمد المهدي البدري في مقال له بمجلة الدعوة، نقلًا عن بعض ثقات تلاميذه داخل المعتقل.

QaradawiBooks.com

مَا قَالَ رَبُّك: ويْلٌ لِلْأُلَى سَـكِرُوا بل قال ربُّـك: وَيْـلٌ للمُصَلِّيْنَا!

ورغم هذا لا يجوز أن يكون مثل هذا الاستغلال أو التحريف مانعًا من النقد العلمي المخلص، فإنَّ كلمة الحقِّ لا ينبغي أن تختفي خشـيةً من كلمة الباطل، وقـد حرَّف الناس كلمات الله عـن مواضعها، ولكنَّها بقيت مضيئة هادية، وكلامنا نحن البشر ليس أولى بالحفظ من كلام الله.

ثانيًا: الانقسام والاختلاف:

ومن آفات الحركة الإسلاميَّة المعاصرة هذا الانقسام أو التمزق الَّذي نشـهده بين فصائلها وجماعاتها المتعدِّدة، فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها جماعة المسلمين لا جماعة من المسلمين، وأنَّ معها الحقَّ كلَّه، وليس بعدها إلَّا الضلال، وأنَّ دخول الجنَّة والنجاة من النَّار حكرٌ على من اتَّبعها، وأنَّها وحدها «الفرقة الناجية» ومن عداها من الهالكين!

ومن لم يقل ذلك منهم بلسـان المقـال، قاله بلسـان الحال، وكأنَّ عدوى التمزق في محيط الأُمَّة، انتقلت إلى محيط الحركة، وهو ما يشكو منه المخلصون الغيورون على نجاح العمل الإسـلامي، وعلى اسـتقامة طريقه. وهي شكوى ستطول إذا ظلَّ هذا الموقف الفكري لهذه الجماعات على هذا النحو، الَّذي يقطع الطريق على أي تقارب حقيقي يؤلف بينها.

وأنا أقول: تقارب، ولا أقول: وحـدة. لأنِّي لا أُنكِر تعدُّد الجماعات العاملة للإسلام، ولا أطمع أن ينضوي الجميع في جماعة واحدة، يضمُّها تنظيم واحد، تحت قيادة واحدة، فهذا حلـمٌ جميل، ولكنَّ دون تحقيقه صعوباتٍ لا يسهل تذليلها، إلَّا أن ينقلب البشر إلى ملائكة أولي أجنحة.

ولا مانع من التعـدُّد إذا كان تعدُّدَ تنوُّعٍ وتخصُّـص، لا تعدُّد تضادٍّ وتناقُض.

QaradawiBooks.com

فجماعة تتخصص في تحرير العقيدة من الخرافة والشرك، وتصحيح عقائد المسلمين وفق الكتاب والسُّنَّة.

وأخرى تتخصَّص في تصحيح العبادات وتطهيرها من البدع والشوائب وتفقيه الناس في دينهم.

وثالثة تُعْنَى بمشكلات الأسرة والمرأة، والدعوة إلى الحجاب الشرعي، ومقاومة التبرُّج والانحلال.

ورابعة تُعْنَى بالعمل السياسي، وخوض معارك الانتخابات والوقوف في وجه الأحزاب العلمانيَّة.

وخامسة تهتمُّ بالعمل التربوي أو العمل الاجتماعي وتبذل فيه جهدها ووقتها.

وسادسة تعمل في هذه الميادين كلها، أو في مجموعة منها، حسبما يتيسَّر لها.

يمكن أن تعمل بعض الجماعات مع الجماهير، وبعضها الآخر مع المثقفين.

يخاطب الأولون العواطف، ويستثيرون مشاعر الإيمان، على حين يخاطب الآخرون العقول والأفكار، وبخاصة عقول أولئك المغزوين للثقافة الغربية بشِقَّيْها: الليبرالي والاشتراكي.

وهكذا تتنوَّع الجماعات، ويتنوَّع عملها وَفْقَ اهتمامها وما ندبت نفسها لخدمته، ومن تفرَّغ لشيء أَحسنه.

وإنَّ من أسباب الفرقة أحيانًا الحرص البالغ على الوحدة، وحدةِ العاملين للإسلام، أو ما سمِّي بـ «حركة إسلاميَّة عالمية واحدة»، فمن

QaradawiBooks.com

أدَّاه اجتهاده إلى أسلوبٍ مغايرٍ في العمل، أو الحركة، اتَّهم بالانشقاق أو بالخروج على الصفِّ، أو تمزيق الوحدة أو غير ذلك من التُّهم الَّتي لا يترتَّب عليها إلَّا المزيد من الفرقة في الصفوف، وتباعد القلوب، وبهذا تكون المبالغة في الحرص على الوَحْدة سببًا إلى الفرقة.

وأولى من ذلك الاعتراف بتعدُّد الاجتهادات وتنوُّع الأساليب بناءً على تعدُّد زوايا الرؤية، والاختلاف في ترتيب الأهداف، وفاعلية الوسائل، وتقدير الأولويات، ومدى المعينات والعوائق إلى غير ذلك، ممَّا يتغيَّر فيه الاجتهاد أو الفتوى بتغيُّر الزمان والمكان والحال والملابسات. ولكلِّ مجتهدٍ نصيب، ولكلِّ امرئٍ ما نوى.

هذا شيءٌ حسنٌ ونافع، على شرط أنْ يحسن الجميع الظنَّ بعضهم ببعض، وأن يتسامحوا في مواضع الخلاف، وأن يتعاونوا ويتناصحوا فيما بينهم بالمعروف، وأن يقفوا صفًّا واحدًا في القضايا الكبرى، قضايا الوجود الإسلامي والمصير الإسلامي، وأن يحاربوا في جبهة واحدة العدو المشرك، مثل اليهوديَّة والصليبيَّة والشيوعيَّة والعلمانيَّة، وأن يذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ومن الواجب على قادة الحركة الإسلاميَّة اليوم أن يحاولوا التقريب بين الجماعات الإسلاميَّة العاملة للإسلام، والتي يتحمس لكل منها جماعات من الشباب المثقف في البلاد العربية[١]. وأخص بالذكر هنا:

(١) وفي غير البلاد العربية توجد: الجماعة الإسلامية في باكستان والهند، وحزب السلامة وجماعة النورسيين في تركيا، وجماعة الشباب المسلم والحزب الإسلامي في ماليزيا، وغيرها.

QaradawiBooks.com

* **جماعة الإخوان المسلمين.**

* **جماعة السلفيِّين.**

* **جماعة الجهاد.**

* **حزب التحرير الإسلامي.**

* **جماعة التبليغ.**

فينبغي أن يدعو المفكـــرون والمنظرون لهذه الجماعات إلى ندوات أو حلقات دراسية مهمتها: إبراز مواضع الاتفاق الَّتي يجب التعاون فيها، وتقريب شقة الخلاف في مواضع الاختلاف الَّتي يسع كل مخالف فيها صاحبه، وتخفيف حـــدَّة الجدل في الجزئيات الَّتـــي لا يطمع عاقل في إنهائها، وتحسين الظنِّ بالآخرين فيما لا يوافقون فيه من الرأي أو العمل، والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف، يمكن أن يلتقي الجميع عليها، ويقفوا صفًّا واحدًا في المعركة الواحدة ضد أعداء الإسلام وما أكثر عددهم، وأقوى عُدَّتهم، وما أعظم كيدهم.

ومن الخطأ ـ في رأيي ـ محاولة تضخيم الفروق، وتوسيع الهوة بين هذه الجماعات، وكلهـــا تعمل في الدعوة إلى الله، بـــل الواجب تضييق الفجوة وإزالة الجفوة ما وُجد إلى ذلك سبيل.

وأعتقد أنَّ «الأصول العشرين» الَّتي وضعها الإمام الشهيد حسن البنا، وجعلها أساسًا لوحدة الفهم عند العاملين للإسلام، والتي كان قد قدَّمها في الأصل لاتحاد الجماعات الدينيَّة في مصر، لتلتقي عليها، بدل الفرقة وتبادل الاتهامات، والتي صاغها صياغة فيها كثير من الحكمة والاعتدال، هذه الأصول يمكن أن تكون مرتكزًا للقاء فكري مشترك بين الجماعات

QaradawiBooks.com

المذكورة، إذا صدقت النيَّات. هـذا إلى جوار «قاعـدة المنار الذهبية» الشـهيرة الَّتي تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[١].

ولم أَرَ مثل الشـهيد البنَّـا في حرصه على التأليـف بين الجماعات العاملة للإسلام وإلحاحه على ذلك في شتَّى المناسبات، واتخاذه كذلك أرفق الأساليب للوصول إلى القلوب، يقول في «رسالة المؤتمر السادس»:

«وأما موقفنا من الهيئات الإسـلاميَّة جميعًا علـى اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء، نحبُّها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرِّب بين وجهات النظر ونوفِّق بين مختلف الفكر توفيقًا ينتصر به الحق في ظل التعاون والحـب، ولا يباعد بيننا وبينهـا رأيٌ فقهيٌّ أو خلاف مذهبي، فدين الله يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلَّا غلبه. ولقد وفَّقنا الله إلى خطة مثلى، إذ نتحرى الحق في أسلوب لين، يستهوي القلوب، وتطمئن إليه العقول، ونعتقد أنَّه سـيأتي اليوم الَّذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية، والحواجز النظرية وتحل محلها وحدة عملية، تجمع صفوف الكتيبة المحمدية، حيث لا يكون هناك إلَّا إخوة مسلمون، للدين عاملون، وفي سـبيل الله مجاهدون: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]»[٢] اهـ.

ولا ينبغي للحركة الإسلاميَّة أن تهمل الشخصيات القوية العاملة في ميدان الدعوة إلى الإسلام، فهي ـ وإن كانت تعمل منفردة ـ لها تأثيرها في محيطها وتلامذتها. ولكلٍّ منهم مدرسته ومريدوه.

(١) مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة

(٢) رسالة المؤتمر السادس صـ ٢١٦، ضمن مجموعة الرسائل.

QaradawiBooks.com

ولا ريب أنَّ منهم الصادقين المخلصين الَّذي يستطيعون أن يُحرِّكوا الرأي العام، ويُوجِّهوه، إنْ صح منهم العزم، وصدق الاتجاه.

ودعوتنا إلى العمل الجماعـــي المنظم المخطـــط لا يعني أنْ نلغي اعتبار من يعملون خارج الأطر الجماعية، فقد يكون لأحدهم من الأعذار أو الموانع المادية أو المعنوية ما يعوقه عـــن العمل الجماعي النظامي. وإن كان الواجب عليـــه أن يكون بفكره وقلبه وجهـــده عونًا لكل عمل جماعي ملتزم بشريعة الإسلام، ولو لم يكن عضوًا رسميًّا فيه.

ومثل ذلك بعض الشخصيات النظيفة المخلصة لدعوة الإسلام الَّتي تعمل في بعض المجالات الرسميَّة كوزارات الأوقاف والشؤون الدينيَّة، والمجامع والجامعات الإســـلاميَّة ونحوها، فلا يحسن تجاهلها لمجرد ارتباطها الحكومي؛ فقد تستطيع بما لديها من أجهزة ومؤسسات تقديم خدمات جليلة للعمل الإسلامي.

ثالثًا: غلبة الاتجاه العاطفي على الاتجاه العقلي والعلمي:

ومن آفات الحركة الإســـلاميَّة غلبـــة الناحية العاطفيـــة على الناحية العقليَّة العلمية.

أهمية العاطفة في الحركة الإسلاميَّة:

ولا أريد بهذا إلغاء الجانب العاطفي مـــن الحركة بحيث تقوم على «العقلانية» الخالصة، بعيدًا عن أي تأثير للمشاعر. فهذا مخالف لطبيعة الحركة، بل لطبيعة الإسلام.

فالإســـلام ـ مع احترامه للعقل ودعوته للنظـــر والفكر ـ ليس مجرد فلسفة عقليَّة منطقية جامدة، إنَّه يشـــتمل على جانب عاطفي في تعاليمه

QaradawiBooks.com

لا ينكره أحد، مثل الحب في الله والبغض في الله، والفرح بتوفيق الله، والحزن على معصية الله، والخوف والرجاء. وغيرها من «الأحوال» النفسية الَّتي عُنِي بها وفصَّلها أهل التصوف في كتبهم، كما ترى ذلك واضحًا في مثل: «منازل السائرين» للهروي، وشرحه: «مدارج السالكين» لابن القيم، وغيرهما من كتب القوم.

فهذا جانب لا خلاف عليه، ولا جدال فيه؛ لأنَّ الإسلام جاء يخاطب في المسلم عقله وقلبه معًا، ولهذا ذمَّ الَّذين لا يعقلون ولا يفقهون، كما ذم الَّذين لا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، فلهذا كان اهتمامه بالجانب العقلي والعاطفي معًا، وحسبنا هنا الحديث المتفق عليه:

«**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقْذَف في النار**»[1].

وطبيعة الحركة الإسلاميَّة أنَّها تعتبر إحياء المشاعر الإيمانية، وإلهاب العواطف الإسلاميَّة جزءًا من رسالتها، الَّتي هي رسالة الإسلام.

وهذا الجانب لا بدَّ منه للحركة لتوفير قدر من الحماسة يدفع إلى العمل وإلى البذل، وكذلك لربط القلوب برباط المحبة والأخوة الَّتي قد ترتقي فتصل إلى درجة الإيثار.

والجماعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام، كما تقوم على وحدة المفاهيم ووحدة التنظيم، تقوم على وحدة المشاعر. وبعبارة أخرى: على تآلف القلوب، وارتباطها بعروة الحب في الله، وهو ما مَنَّ الله به على

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

رســوله بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وكان الشهيد حســن البنا في أحاديثه الأسبوعية ـ أحاديث الثلاثاء ـ حريصًا على أن يبدأها دائمًا بإحياء القلوب بالإيمان والحب. وهو ما كان يسميه «عاطفة الثلاثاء».

ولهذا جعــل «الأخوة» مــن أركان البيعة، وكان من كلماتــه المأثورة: إنَّ دعوتنا تقوم على دعائم ثلاث: الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والحب الوثيق.

هذا مكان العاطفة في تعاليم الإسلام، وفي الحركة الإسلاميَّة.

ماذا نريد بغلبة العاطفية؟

إذن ما الَّذي نقصده هنا؟

الذي نقصده: أنْ تغــدو العواطف والانفعالات هــي الحاكمة على التصرفــات والعلاقات والغالبــة على التفكيــر والســلوك، والموجِّهة لأحكامنا على الأعمال والأقوال والمواقف والأشخاص والهيئات، وبهذا تصبح العاطفة فوق العقل، والهوى قبل العلم.

وهذا الاتجاه الجانح إلى تغليب العاطفة على العقل والعلم له دلائل ومظاهر عدة، أذكر منها ثلاثة:

١ ـ قصور الدراسة والتخطيط:

فرغم أنَّ الإســلام يدعو إلــى العقل والعلم، ويحث المســلم على احترام الأســباب، ومراعاة الســنن وأخذ الحذر، والإعــداد للغد، نرى الحركة الإسلاميَّة ضعيفة الاهتمام بهذا الجانب.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرت يومًا أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع، فكان جوابه: «هل تحتاج الدعوة إلى الله، وتذكير الناس بالإسلام، إلى تخطيط وإحصاء»؟!

هذا مع أنَّ النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة طلب إحصاءً بعدد من يلفظ بالإسلام، فأحصوا فكانوا: ألفًا وخمسمائة[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ الرسول الكريم أراد أن يعرف مدى القوة البشرية لديه معرفة علمية دقيقة، ليكون تقديره ومواقفه مبنية على دراية وبيِّنة.

لا بدَّ إذن من دراسة واقع الأُمَّة الإسلاميَّة، وواقع الحركة الإسلاميَّة، وواقع القوى المعادية للإسلام، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعًا، وتحليلها من منظور علمي موضوعي، والخروج بالنتائج اللازمة لتوضع موضع التنفيذ إثباتًا أو نفيًا.

ولا زال بعض المنتسبين للعمل الإسلامي يضيقون بما يدعو إليه البعض من ضرورة «الدراسة» أولًا. وغدت كلمة «الدراسة» لأيِّ فكرة أو مشروع تعني عندهم «التسويف»، وهو يعني «التمويت» بالقتل البطيء!

وكان لنا صديق يقول إذا طالبنا بالدراسة والبحث على غرار ما يفعله الاقتصاديون فيما يسمونه «دراسة الجدوى» قال: الدراسة تأتي بعد. المهم أن نبدأ العمل ونمضي ولا نقف ساكنين، أنا أؤمن بالأعمال الناقصة! لنبدأ العمل ناقصًا أو خاطئًا، ثمَّ يأتي غيرنا فيكمل النقص، ويصحِّح الخطأ.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

وهذه فلسـفة لها دوافعها ومبرِّراتها. ولكن الَّذي أكَّدته التجارب أنَّ ترقيع العمل المغلوط، أو تقويم المشـروع الأعـوج، أصعب بكثير من بدئه من الألف بداية صحيحة.

وقد يبذل المخلصون جهودًا مضنية في الترقيع والتصحيح والتقويم ثمَّ لا تؤتي أكلها، وقد تحقِّق بعض النتائج، ولكن بعض الأمور تستعصي على الإصلاح؛ لأنَّها بدأت من أول الأمر غير صحيحة ولا مستقيمة.

ومن أهـم ما ينبغـي التخطيط لـه: توجيـه المواهب الشـابة إلى التخصص على أعلى المستويات في كل مجالات الحياة: علمية وشرعية وسياسـيَّة واقتصاديَّـة واجتماعيَّة وثقافيـة وتربوية وإعلاميـة وإدارية وتخطيطية وغيرها، من كل ما يسد الثُّغرات ويلبِّي الحاجات، في مجتمع متحضر معاصر، في عالم «الكمبيوتر» والأسلحة النووية وغزو الفضاء، والهندسة البيولوجية، عالَم يضيف كل يوم جديدًا بما يشبه الوثبات في العلم والتكنولوجيا، والمسلمون يتصارعون فيما بينهم، أو يلهون والدنيا تجدُّ، أو يلوكون ألسنتهم بما لا يفيد.

فلا بدَّ من التخصص الَّذي يعتبر في نظر الشريعة من فروض الكفايات الواجبة على الأُمَّة مجتمعة، ولا يجوز أن تتكدس القدرات والكفايات في مجال، على حين يغفل مجال آخر، يحتاج إلى من يقوم به فلا يجد.

وقد عاب القرآن الكريم على المسـلمين في عصر النبوة أن يتَّجهوا كلهم إلى الجهاد، على ما له من منزلة وفضـل، غافلين عن ميدان آخر لا يقل عنه أهمية، وهو الفقه في الدين، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

QaradawiBooks.com

ونظرًا لأنَّنا نرتجل، وخصومنا يُخَطِّطون، نراهم يسرقون ثمرات كفاحنا الإسلامي ونحن غافلون.

إنَّ حركات التحرير ضد الاستعمار كله: الغربي والشرقي والصهيوني كان محركها ومطلق شرارتها، ومفجر طاقاتها، وقائد كتائبها، هو الإسلام، وهذا باعتراف المراقبين المحايدين، والمؤرخين المنصفين، من الشرق ومن الغرب.

ولكنَّ الَّذي يؤسف له: أنَّ الإسلام يزرع ولا يحصد، ويغرس ولا يجني. بل نرى آخرين من العِلمانيين والحاقدين والكائدين في الخفاء من أعداء الإسلام يقفون متفرجين أو متربصين، حتَّى إذا تهيَّأت الثمرةُ للنضج، وثبوا فجأة إلى مقدِّمة صفوف الجهاد والنضال وأحدثوا دويًّا هائلًا، وفرقعة ضخمة تجذب إليهم الأسماع والأبصار والقلوب، لينفردوا هم بالغنيمة، ويقطفوا وحدهم الثمرة: ثمرة النَّصر.

وكثيرًا ما نراهم يلبسون لبوس الإسلام، ويتحدثون باسمه وأفئدتهم منه هواء، وحياتهم غريبة عنه كل الغربة، فتخدع الشعوب المسلمة الطيبة بمظهرهم وقولهم، وتحسب أنَّهم على شيء، حتَّى إذا تمكَّنوا وأمسكوا بالزمام أعلنوا عن هويتهم، وتبرؤوا من الإسلام الَّذي وصلوا باسمه وبقوته إلى هذه النتيجة.

وهذا ما حدث بوضوح مع كمال أتاتورك، الَّذي قاد الشعب التركي باسم الإسلام وتحت لوائه، فبذل الشعب من دمه ونفسه وماله راضيًا حتَّى انتصر، وهلَّل الناس في أنحاء العالم الإسلامي

QaradawiBooks.com

وكبَّروا «للغازي» مصطفى كمال كما كانوا يلقِّبونه، وقال شـــوقي فيه قصيدته الشهيرة[١]:

اللهُ أكبرُ كَمْ في الفَتْحِ مِنْ عَجَبِ! يَا «خَالِدَ» التُّرْكِ جَدِّدْ «خَالِدَ» الْعَرَبِ!

ولم يكد الناس يفرحون بالنصر، حتَّى انقلب العرس إلى مأتم، وإذا «الغازي» الَّذي ظنَّه النَّاس سيفًا مسلولًا للإسلام يصبح خنجرًا مسمومًا في ظهره أو صدره. وإذا هو يوجِّه مِعْوَلَه لهدم «الخلافة»، وهدم الإسلام كلِّه معها، وإلغاء وجوده الاجتماعي من حياة الشعب التركي المسلم.

وكانت صدمة فاجعة للعالم الإسلامي من مشـــرقه إلى مغربه، عبَّر عنها أمير الشعراء شوقي في رائعته الَّتي رثى بها الخلافة:

عَادَتْ أَغَانِي الْعُـــرْسِ رَجْعَ نُوَاحِ وَنُعِيـــتِ بَيْـــنَ مَعَالِـــمِ الْأَفْـــرَاحِ
كُفِّنْتِ فِي يَـــوْمِ الزِّفَـــافِ بِثَوْبِهِ وَدُفِنْتِ عِنْـــدَ تَبَلُّـــجِ الْإِصْبَاحِ[٢]!

٢ ـ العجلة:

وهي من آثار غلبـــة العاطفة والانفعـــال على منطـــق العقل والعلم والتخطيط.

فالمستعجل لا صبر له ولا أناة عنده؛ فهو يريد أن يزرع اليوم ليحصد غدًا، بل يريـــد أن يغرس في الصباح ليجني في المســـاء، وهذا مخالف لســـنن الله تعالى في الكون وفي الاجتماع البشـــري. فكل شيء له أجله المسمَّى وأطواره المعلومة.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ ـ ١٠٩).

QaradawiBooks.com

إنَّ الله خلق العالم في ستة أيام، وكان قادرًا أن يقول له: كن فيكون. ولكن أراد الله أنْ يُعلِّمنا الأناة.

وكان قادرًا أنْ ينصر نوحًا عليه السلام والذين آمنوا معه من أول الأمر، ولكنَّه تركه يدعو ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، ثمَّ نجَّاه بسفينة يصنعها بيديه، ولم تنزل له من السماء.

وكان قادرًا أنْ ينصر رسوله محمدًا ﷺ ويهلك أعداءه بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم، منذ فجر الدعوة، ولا يُعرِّضه هو وأصحابه للابتلاء والفتنة.

بل إنَّه لم يأذن لهم بالجهاد والدفاع عن أنفسهم أمام القوة الطاغية، وقال لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]، حتَّى غدت لهم شوكة ودار، فأذن لهم بالقتال، وإنَّ الله على نصرهم لقدير.

ولا غرو أنْ أمر الله رسوله والمؤمنين معه بالصبر وعدم الاستعجال حتَّى يقضي الله أمره.

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

QaradawiBooks.com

إنَّ الاستعجال جعل الحركة الإســلاميَّة تخوض معارك قبل أوانها، وتخوض أخرى أكبر من طاقتها، وتحارب الشــرق والغرب مرة واحدة، وتُدخل نفسها مداخل لا تستطيع الخروج منها. مع أنَّ الله لم يكلِّفنا إلَّا وسـعنا، ولا يحل لنا أن نكلِّف أنفســنا من البلاء ما لا نطيق، فنعرِّضها للفتنة. وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال رســوله: «**إذا أمرتُكم بأمرٍ فَأْتُوا منه ما اســتطعتُم**»(١)، وقال: «**من رأى منكم منكرًا فلْيُغَيِّرْه بيده، فإن لم يســتطعْ فبلســانِه، فإن لم يســتطعْ فبِقَلْبِه، وذلك أضعفُ الإيمــانِ**»(٢). فجعل التغيير درجات، ورتَّبها حســب الاستطاعة، ولا جناح على المسلم إذا بذل ما يستطيعه وترك ما لا يستطيع.

وقد ذمَّ الله ورسوله العجلة؛ لما تُورِثُه من سوء العاقبة.

وحســبنا من إشــارات القرآن الَّتي لها دلالتها في بيان ســوء مغبة العجلة وإن دفع إليها أنبل الغايات، قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۞ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: ٨٣ ـ ٨٥].

يقول العلامة الألوسي في «تفســيره»: «والفاء» ـ في قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ ـ لتعليل ما يُفهِمه الكلام السابق، كأنَّه قيل: لا ينبغي عجلتك عن قومك، وتقدُّمك عليهم، وإهمال أمرهم، لوجه من الوجوه، فإنَّهم لحداثة عهدهــم باتباعك، ومزيد بلاهتهــم وحماقتهم، بمــكان يحيق فيه مكر الشيطان، ويتمكن من إضلالهم(٣).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) روح المعانــي (٥٥٣/٨، ٥٥٤)، تحقيق علــي عبد الباري عطية، نشــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

ولمَّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا لِمَا أحدثوه بعده، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤].

فكان موقف هارون الأناة والتريث ـ رغم بشاعة الجريمة ـ حفاظًا على وحدة الجماعة، حتَّى يعودَ أخوه، ويتشاورا في علاجِ الموقف.

وفي الحديث: «**الأناة من الله، والعَجَلَةُ من الشيطان**»[(١)]. «**يُستجابُ للعَبْدِ ما لم يَعْجَلْ؛ يقولُ: دعوتُ، ولم يُسْتَجَبْ لي**»[(٢)].

وكم تمنَّيت وأعلنت في مناسبات مختلفة للحركات الإسلاميَّة، في الفترة الَّتي كان لها فيها حرية التحرك والنشاط، أن تدَّخر قوتها، ولا تورط نفسها في مواجهات ومعارك، يدفعها إليها المغامرون المتعجلون، أو يستدرجها إليها المخططون الماكرون، وأن تشغل نفسها بنشر الدعوة إلى الإسلام الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة، على كل صعيد، وتربية الأجيال الصاعدة بهذا الإسلام وله، تربية متكاملة: عقليَّة وروحيَّة وبدنيَّة واجتماعيَّة، والاندماج في المجتمع، لحل مشكلاته، وتخفيف معاناته، وتسديد خطواته، ورعاية حاجاته، وأن تدع التفكير في استخدام القوة والعنف، والاصطدام بالسلطات الحاكمة، لمدَّة عشرين سنة. وستجد بعدها أنَّها أحدثت «ثورة سلميَّة» في

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠١٢)، وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعفه من قبل حفظه. والطبراني (١٢٢/٦) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٠٣)، عن سهل بن سعد.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المجتمع كلِّه، وحقَّقت انقلابًا فكريًّا ونفسيًّا وأخلاقيًّا، من غير أنْ تشهر سلاحًا، أو تعلن جهادًا.

والمَخُوف هنا دائمًا أنَّ القوى الخائفة من الإسلام والمناوئة له لا تدع الحركة الإسلاميَّة حتَّى تمتد وتنمو وتتسع، ولهذا تفاجئها بضربات سريعة حتَّى تُمزِّق شملها، وتعوق سيرها، ولا تُمكِّنها من التوسع والانتشار المأمول.

وهذا أمر وارد، ولكن الحركة أيضًا عليها بعض اللوم، فإنَّها كثيرًا ما تستفزُّ تلك القوى المتربصة، وتستثير فيها غرائز الخوف، حين تستعرض عضلاتها، وتُظهِر قوتها الجماهيرية بصورة أو بأخرى، وكانت الحكمة تقتضي أنْ تحسب كل خطواتها، ولا تُمكِّن عدوها منها ما استطاعت، وتسأل الله العافية، فإذا وقع البلاء بقدر الله، لم يكن لها إلَّا الصبر والمصابرة.

٣ ـ المبالغة:

ومن توابع العاطفية: المبالغة والتهويل، وهذه آفة من آفات الأُمَّة كلها، فنحن للأسف في جُلِّ الأمور نقف في طرفي الإفراط والتفريط، وقلَّما نقف موقف «الوسط» الَّذي مدح الله به هذه الأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد انتقل هذا إلى الحركة الإسلاميَّة، فأصبحت المبالغة والتهويل سمة غالبة: في وصفها لنفسها، وفي نقدها لخصومها، وفي غير ذلك من المواقف.

ولهذا شاع «أفعل التفضيل» على ألسنة دعاتها، وأقلام كتابها: الأعظم، والأقوى، والأفضل، والأمثل، والأحقر، والأضعف، والأسوأ، كما شاعت الأوصاف الضخمة والفخمة والألفاظ الرنَّانة، والجمل المثيرة.

QaradawiBooks.com

إنَّنا نبالغ في الإعجاب بأنفسنا، ونبالغ في النقد لغيرنا.

ولا ينازع عاقل أنْ نعتزَّ بأنفسنا وحضارتنا، فهذا هو الواجب في أُمَّة تريد أن تنهض وتتبوَّأ مكانها تحت الشمس. وخصوصًا عندما تواجَه بغزو حضاري وثقافي يريد أنْ يقتلعها من جذورها، ويشككها في وجودها ذاته.

ولكنَّ الخطر أنْ يستحيل هذا الاعتزاز إلى عُجْب وغرور يعمي ويصم، والعُجْب أحد المهلكات الثلاث، كما في الحديث الشريف[1].

وهذا ينطبق على الأفراد وعلى الجماعة.

وقد أشار إلى ذلك القرآن حين قال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

وقال ابن مسعود: «إنَّما الهلاك في اثنين: العُجْب والقنوط»[2].

وعلَّق على ذلك الإمام «الغزالي» فقال: «إنَّما جمع بينهما؛ لأنَّ السعادة إنَّما تنال بالسعي والطلب، والجد والتشمير، والقانط لا يسعى ولا يطلب لأنَّ ما يطلبه غير ممكن حصوله في نظره.

والمعجب يعتقد أنَّه قد سعى، وأنَّه قد ظفر بمراده، فلا يسعى؛ فالموجود لا يُطلب، والمحال لا يُطلب، والسعادة موجودة في اعتقاد

(١) ونصه: «ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوًى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه». رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين صـ ٤٨٥، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

المُعْجِب حاصلة، ومستحيلة في اعتقاد القانط، فمن هاهنا جمع بينهما»[1] اهـ.

ونحن نبالغ في نقدنا لغيرنا وخصوصًا للحضارة الغربية، فنحن لا نجحد أنَّ في الحضارة الغربية آفات أساسية لا تنفك عنها؛ لأنَّها ملازمة لها، لأنَّها جزء من بنيتها، كالنظرة المادية، والنفعية والعنصرية، ونحوها.

ولكن لا ينبغي أنْ ننسى أنَّ في هذه الحضارة نقاط قوة يجب أن تُذكَر لها من باب الإنصاف أولًا، ومن باب معرفة الخصم على حقيقته ثانيًا.

من ذلك: قيامها على العلم التجريبي، وحسن الإدارة، والتنظيم، والتَّعاون أو علم الفريق، والاهتمام بالأخلاق الاجتماعيَّة، واحترام الإنسان، وحرياته وحقوقه، وخصوصًا داخل أوطان أصحاب هذه الحضارة، وحرصهم على الشورى ومقاومة ظلم الحكام واستبدادهم بالشعوب.

ويحسن بي هنا أنْ أذكر صورة من تراثنا المجيد ترينا مدى إنصاف سلفنا لخصومهم، واعترافهم بفضلهم، وإن كان بينهم من الحروب ما بينهم.

وهذه الصورة ليست قصة في كتب الأدب أو التراجم أو التاريخ، بل هي حديث رواه الإمام أحمد في «مسنده»، ومسلم في «صحيحه»، واللفظ هنا لمسلم. فقد روى من حديث موسى بن علي، عن أبيه، قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر النَّاس**»، فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال:

(١) إحياء علوم الدين (٣٦٩/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك إنَّ فيهم لخصالًا أربعًا: إنَّهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين، ويتيم، وضعيف. وخامسة حسنة جميلة: أمنعهم من ظلم الملوك»[١].

ويعجب المرء أنْ تصدر هذه الشهادة للروم من قائد عسكري وسياسي مسلم، مثل عمرو بن العاص، الَّذي خاض أكثر من معركة مع الروم في فلسطين ومصر وغيرها، ولكنَّه الإسلام الَّذي علَّمهم أن يكونوا قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم، وألَّا يجرمنَّهم شنآن قوم على ألا يعدلوا.

وقد لاحظ المراقبون على الحركة الإسلاميَّة الحديثة أنَّها تبالغ في تقدير قوتها، وتبالغ في بيان ضعف خصومها، والتهوين من شأن العوائق في مسارها، وتهوِّل في المدح إذا مدحت، وفي الذم إذا ذمت، كما تبالغ في الحب إذا أحبت، والكره إذا كرهت.

وقد جاء في الأثر: «**أحبِبْ حبيبَكَ هونًا ما، عسى أن يكون بَغِيضَكَ يومًا ما، وأبْغِضْ بغيضَك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما**»[٢].

وفي المثل: لا يكن حبُّك كلفًا، ولا بغضك تلفًا[٣].

---

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٨)، وأحمد (١٨٠٢٢).

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٧)، وقال: هذا حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٣٣٩٥)، قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٦٤٣: رجاله ثقات رجال مسلم، لكن الراوي تردَّد في رفعه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٢٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٢٢)، وصحَّح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٩٨)، من قول عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

وقد علَّمنا القرآن أن نكون عدولًا مقسطين مع من نحب ومن نكره، مع أنفسنا ومع أعدى أعدائنا.

يقول تعالـــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

ويقـــول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٨].

رابعًا: الخوف من التجديد:

وهذه نقطة من نقاط الضعف في الحركة الإسلاميَّة: إنَّها تخاف من الاجتهـــاد، ولا ترحِّب كثيـــرًا بالتجديـــد، ولا تميل إلـــى «الانفتاح» ومواكبة التطور.

ورغم أنَّها تدعو ـ من الناحية النظرية علـــى الأقل ـ إلى «الاجتهاد» في المجـــال الفقهي، فهـــي تميل إلـــى «التقليد» في المجـــال الفكري والمجال الحركي، وتؤثر أن يبقى كل قديم على قدمه.

وليس هذا مقصورًا على الحركات الَّتـــي عُرِفَت بنزعتها «الظاهريَّة» في فهم الإســـلام، والحرفيَّة في تفســـيره، بل يكاد ذلك يعمُّ الحركات الإســـلاميَّة المعاصرة. حتَّى الَّتي اشـــتهرت منها بالمرونة وسَعة الأفق، وخاضت من التجارب ما يجعل لها الحق في التجديد والتغيير.

فهي تتمسَّك أحيانًا ببعض الوسائل والأشكال، ولو وقفت حجر عثرة في سبيل انتشارها، أو جلبت عليها متاعب هي في غنًى عنها. وتنفر من الأفكار الحرة، والنزعات التجديدية، الَّتي تخالف المألوف والمستقر من

QaradawiBooks.com

الأفكار والأعمال، وتضيق بالمفكِّرين من هذا النوع الَّذي يصعب صبه في قالب حجري لا يفارقه، أو حبسه في قمقم فكري لا يخرج منه، وربما تصدر في شأنهم قرارات أشبه بـ «قرارات الحرمان» بحيث لا تقرأ كتبهم، ولا تشهد حلقاتهم.

ولهذا لا يبعد أنْ يتسرَّب كثير من هؤلاء منها واحدًا بعد الآخر، كما يتسرَّب الماء من بين الأصابع، لا كفرانًا بأهدافها، ولكن فرارًا بعقولهم أن تُجمَّد أو توضع في ثلاجة. والحركة نفسها تستريح بانسحابهم؛ لأنَّهم يُحرِّكون السواكن، ويثيرون البلبلة.

رأيت بعض الأحزاب الإسلاميَّة يفرض على أتباعه نوعًا من الثقافة المحفوظة، الَّتي تردد وتكرر مفاهيمها كأنَّها قرآن يتلى، فيفدون وكأنَّ كلَّ واحدٍ منهم «شريط مسجِّل» يردِّد ما ملئ به، لا إنسان يفكر ويحاور، ويأخذ ويدع، فما قاله أميرهم أو رئيسهم في موقف من المواقف، أو في قضية من القضايا ذات الأوجه المتعددة، هو الصواب الَّذي لا يقبل الخطأ، بل الحق الَّذي لا يحتمل الباطل.

ورغم إنكارهم نظريًّا للتربية الصوفيَّة، الَّتي تقوم على السمع المطلق والطاعة العمياء، الَّتي شعارها: من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح! والمريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل! نراهم يربُّون أتباعهم على مثل هذه النزعة، وإن لم يقولوا ما قال المتصوفة.

ومن قال: لِمَ؟ نظر إليه بتحفظ، فإن قال أكثر منها فهو متمرِّد.

والأدهى من ذلك ألَّا يقتصر ذلك على الجنود والمريدين، بل يُراد أن يُطبع العلماء والمفكِّرون والكتاب بهذا الطابع التقليدي، فلا يخرجون

QaradawiBooks.com

عن الإطار المرســوم، لا في التفكير ولا في التعبير، فــإن فعلوا قوبلوا بأعنف الهجوم.

ولا غرو أن لاقى الداعية العلامة المرحوم الدكتور السباعي ما لاقى؛ لأنَّه سمَّى عدالة النظام الإسلامي «اشتراكيَّة الإسلام» اجتهادًا منه، بغية جذب فئات من الناس تستهويها كلمة «اشــتراكية» وتحسب أنَّ الإسلام في نظامه الاقتصادي لون من الرأسمالية.

ولقي كاتب إســلامي آخر من عنف الهجوم ما لقي؛ لأنَّه كتب في العدد الافتتاحي لمجلة «المسلم المعاصر» يرجو أن تكون لسان ما سمَّاه «اليســار المســلم» اجتهادًا منه في الردِّ على الَّذين يصنفون الدعاة إلى الإســلام في صف «اليمين» دائمًا، بمــا يحمل ذلك مــن ولاء للنظام الرأسمالي، وتبعية للغرب، إلخ.

ولســت من الموافقين على هذا التعبيــر أو ذاك، ولكنِّــي أوافق كل الموافقة أن يكون لأهل الفكر حقُّهم فــي الاجتهاد، وهم مأجورون عليه، أصابوا أم أخطأوا، وأُنكِــر كل الإنكار مصادرة حقِّهم في حرية الرأي. كما أُنكِر الاتِّهام والتشنيع لمجرد إبداء رأي مخالف للمعهود، فرُبَّ رأي يُرفض اليوم من الأكثريَّة، يغدو هو الرأي المقبول والسائد بعد مدَّة من الزمان.

طلبت مَجَلَّة إســلاميَّة حركية إلى كاتب إســلامي كبيــر أنْ يمدها بمقالاته، فكتــب لها مقالًا، يحمــل رأيًا خاصًّا له بجــواز قيام أحزاب إســلاميَّة في ظل نظام إســلامي، لأدلة واعتبارات يراها، ولكنَّ رئيس التحرير جمَّــد هذه المقالة، ولم يأذن لها بالنشــر؛ لأنَّــه يخالف الرأي التقليدي المتوارث أن لا حزبيَّة في الإســلام، وهو كلام مجمل يحتاج إلى بيان وتفسير، وكانت له ظروفه وملابساته.

QaradawiBooks.com

وكُلِّف أحد المشايخ من الدعاة العاملين في حقل الحركة الإسلاميَّة يومًا بوضع خطة عمل لخمس سنوات، فكان مما اقترحه ضمن الخطة إجراء حوار متصل مع القوى الخائفة من الإسلام، والمناوئة له، والمعادية للحركة الإسلاميَّة: حوار فكري مع المستشرقين وأمثالهم من رجال الفكر الغربي، وحوار ديني مع الأحبار ورجال الدين المستعدين للتفاهم والوقوف في وجه المادية الطاغية، وحوار سياسي، مع الدبلوماسيين والسفراء والمهتمين بالشؤون السياسيَّة. والغرض من هذا الحوار تغيير الفكرة القديمة الَّتي تصوِّر الإسلام غولًا، والمسلمين وحوشًا، والحركة الإسلاميَّة حركة إرهاب وعنف دموي، وإمكانُ إقامة تعايشٍ سلميٍّ بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى، وأن يكون للمسلمين حقُّهم في حكم أنفسهم في أوطانهم وَفْق عقيدتهم وشريعتهم.

والعجيب أنَّ هذا الاقتراح قوبل من الأغلبيَّة بالرفض والسخرية حتَّى قال من قال: إنَّ الشيخ أصبح تقدُّميًّا!

وفي ظل هذا المناخ الفكري، تجد الآراء المتشدِّدة، والمواقف المتشنِّجة رواجًا وإقبالًا، ويعتبر أصحابها أبطالًا.

وفي ظل هذا المناخ تنفق سوق المزايدات على إرضاء جمهور المتدينين بإظهار التشدد في الرأي، والمتاجرة باتخاذ مواقف التصلب.

وأكثر الناس يظنُّون أنَّ الانحراف يتمثل في توظيف العلم في اتباع هوى السلاطين، ونسوا أن يضيفوا إليه توظيف العلم في اتباع أهواء الجمهور. وفي رأيي أنَّ اتِّباع أهواء العامَّة أشدُّ خطرًا من اتِّباع هوى السلطان؛ لأنَّ الَّذين يتَّبعون السلاطين يكشفون ويرفضون، أمَّا الَّذين يتَّبعون أهواء الجماهير فهم في نظرهم الأبطال الصادقون!

QaradawiBooks.com

وقد ســاد الفكر المتشدِّد في الســتينيَّات من القرن العشرين، نتيجةً لظروف وأوضاع معيَّنة لا تخفى على الدارسين، حتَّى انتهى بدعاته إلى الانفصال عن المجتمع، والاســتعلاء عليه، ورميــه بالجاهلية المطلقة، وتجلَّــت «ظاهرة الغلو فــي الكفر»، تلــك الفكرة الَّتــي تتَّهم جماهير المســلمين بأنَّهم كفَّار؛ لأنَّهم لــم يفهموا «لا إلٰــه إلَّا الله»، ولم يؤمنوا بحاكميته سبحانه! وترى من العبث «الاجتهاد» لإيجاد حلول للمشكلات المعاصرة، وتســخر من محاولة «تجديد الفقه الإســلامي» في مجتمع لا يلتزم بالإسلام، وترفض دعوة الناس بتقديم النظام الإسلامي لهم، إذ الخطوة الأولى أن تقدم لهم العقيدة حتَّى يسلموا أولًا، ثمَّ تعرض عليهم بعد ذلك نظم الإسلام: الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة.

هذه أبرز نقاط الضعف أو مواضــع الخلل، الَّتي تؤخذ على الحركة الإسلاميَّة المعاصرة، ذكرتها احتسابًا لله، ونُشدانًا للكمال، وأنا أعلم أنَّ في أبناء الحركة من يضيق بهذا النقد ويفزع منه، وأنَّ في خصوم الحركة من يلتقط هذه الكلمات ليضخِّمها ويســتخدمها للتشويش على الحركة وأهدافها، بل للتشويش على الإسلام ذاته كما أشرت إلى ذلك من قبل، مغفلًا ـ عمدًا ـ ظروف الحركة الصعبة من ناحية، وما حقَّقته من إنجازات تُذكَر فَتُشكَر من ناحية أخرى.

وهذا ما نتحدث عنه في الصفحات التالية، باحثين عن أفضل السبل لتدارك النقص، وابتغاء الكمال.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إلى الأمل والعمل

ما ذكرناه عن الأُمَّة الإسلاميَّة أولًا، وعن الحركة الإسلاميَّة ثانيًا، لا يعني ـ كما يُصوِّر بعض المتطيِّرين أو بعض ذوي الغرض ـ أنَّ الأمل مفقود، وأنَّ الطريق مسدود.

فثمَّت دلائل كثيرة تبشِّر بالخير، على مستوى الأُمَّة، وعلى مستوى الحركة، وإجماعنا على أنَّ هناك خللًا يجب أنْ يُسدَّ، وقصورًا يجب أنْ يتلافى، والبحث عن هذا الخلل لتشخيصه ووصف العلاج له، كل هذا من الظواهر الصحية المبشِّرة بغدٍ أفضل؛ فالوعي بجوانب النقص أول خطوات تحقيق الكمال.

أنصفوا الحركة الإسلاميَّة:

على أنَّ أول خطوة في سبيل العلاج الصحيح أن ننصف الحركة الإسلاميَّة، الَّتي ترنو إليها الأُمَّة على أنَّها مناط الرجاء، وهذا يحتِّم علينا أنْ نذكر ما لها ـ أو على الأقلِّ بعض ما لها ـ من حسناتٍ وثمرات، كما ذكرنا ما عليها من مآخذ. وما لها من حسناتٍ ليس هيِّنًا ولا قليلًا.

وقبل ذلك ينبغي أنْ نذكر ما لها من عذرٍ فيما قصَّرت فيه، وما يعترضها من عقبات قد تعجز وحدها عن تذليلها.

QaradawiBooks.com

المناخ الَّذي تعمل فيه الحركة الإسلاميَّة:

إنَّ الحركـــة الإســـلاميَّة تعمل في مناخ لا تُحسَـــد عليـــه، مناخ لا يسمح للإســـلام فيه أن يقول كلمته بصراحة، ولا يجمع أبناءه في حرية. وقد يُؤذَن لـــكل ذي نِحلَـــة أو مذهب أن يعبِّر عن نفســـه إلَّا الإسلام ودعوة الإسلام.

الإسلام المسموح به هو الإســـلام «الموجَّه»، الإسلام الحكومي، أو الإسلام «المستأنَس»، الَّذي جُرِّد من كلِّ سلاح من أسلحة القوة والحيوية.

في هـــذا الجـــوِّ الخانق ـ جـــوِّ القهر والاســـتبداد ـ تعمـــل الحركة الإسلاميَّة. تعمل ويدها مغلولة، وأقدامها مقيَّدة، تُشَنَّ عليها الحرب من كلِّ الجبهات داخليَّة وخارجيَّة، وبكل الأسلحة: جسديَّة ونفسيَّة، فكريَّة وإعلاميَّة، اقتصاديَّة وسياسيَّة.

ولا تكاد تفيق من ضربـــة إلَّا لتتلقَّى أخرى، أو تقـــوم من محنة إلَّا لتواجَه بمحنة أقسى وأعتى، حتَّى تكاد تُنسي الآخرة مرارة الأولى على قســـوتها، وكادت تكون أيـــام المحن هي الأصـــل، وأيـــام العافية هي الاستثناء، وغدا أبناء الحركة يتمثَّلون بقول أبي الطيِّب:

فَصِـــرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِـــي سِـــهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[1]!

وقد أثبتت التجارب في أقطار إسلاميَّة شتى، وفي أزمنة مختلفة: أنَّ الحركة الإسلاميَّة إنَّما تنتعش وتزدهر في ظلِّ الحُرِّيَّة، هناك تتجاوب مع الفِطَر السليمة، والعقول الراشـــدة، فيهتدي على يديها الضالُّون، ويزداد الَّذين اهتدوا هدًى.

(١) انظر: ديوان المتنبي صـ ٢٦٥، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

هناك ينتقل كثيرون من السلبيَّة إلى الإيجابيَّة، من العزلة إلى المشاركة، من التديُّن الفردي إلى العمل الجماعي، من قوله: نفسي نفسي. إلى قوله: أُمَّتي أُمَّتي. من شعار: دع المُلْك للمالك، والخلق للخالق! إلى شعار: أصلحْ نَفْسَك وادعُ غيرك.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

كما أثبتت الوقائع: أنَّ الحركة الإسلاميَّة إنَّما تنكمش وتضمر، بل تذوي وتذبل، حين يخنقها «غاز» القهر والاستبداد، وهو الَّذي تعانيه اليوم في جُلِّ أقطار الإسلام، إن لم يكن في كلِّها.

الحركة باقية ماضية:

ورغم هذه الظروف الصعبة الَّتي تعمل في ظلها الحركة الإسلاميَّة، لا يستطيع أحد أن يُنكِر ما قدَّمته الحركة الإسلاميَّة للأُمَّة الإسلاميَّة، في بلاد العرب والمسلمين كافة، على صعيد الفكر والشعور والسلوك والتربية والجهاد، وخصوصًا بعد تمكُّن الاستعمار من أقطارهم، وهدم الخلافة الناظمة لعقدهم، وهيمنة الفكر الغربي على مثقَّفيهم، ثمَّ سيطرة الأنظمة الوطنية العلمانية على أَزِمَّة الحكم والتوجيه لحياتهم. ولا يستطيع دارس منصف أنْ يزعم أنَّ الحركة قد تجمَّدت أو شاخت؛ فالحركة باقية ببقاء الإسلام، الَّذي تستمد قوتها منه.

إنَّ الحركة الإسلاميَّة إن أخفقت في إقامة الدولة الإسلاميَّة المنشودة؛ فهذا لا يعني أنَّ دورها قد انتهى.

QaradawiBooks.com

والمراقبون الغربيون أنفسهم يدركون هذا، ويعلمون أنَّ المارد المحبوس في قمقمه يمكن في أي لحظة أن يفكَّ الطلاسم ويبطل السحر، ويخرج من أسره عملاقًا جبارًا.

هكذا قال أحدهم قديمًا، وهو المستشرق المعروف «جب» الخبير بالإسلام وبالشرق في كتابه «إلى أين يتجه الإسلام؟». قال: «إنَّ الحركات الإسلاميَّة تتطوَّر عادة بسرعة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارًا مفاجئًا، قبل أن يتبيَّن المراقبون من أمارتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها؛ فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلَّا وجود الزعامة، لا ينقصها إلَّا ظهور «صلاح الدين» جديد»[1]!

وحديثًا قال مستشرق آخر هو: «برنارد لويس» في كتابه «الغرب والشرق الأوسط» وقد نقل عن الدكتور «نبيه أمين فارس» ـ أحد أعلام المؤرخين العرب المعاصرين ـ قوله عن الإخوان المسلمين:

«إنَّ فكرتهم ومثاليَّتهم لا تزال تمثِّل أعمق مطامح المسلمين من المغرب إلى إندونيسيا»، ثمَّ قال «لويس»: والشيء الواضح الوحيد هو أنَّ من بين جميع الحركات الكبرى الَّتي هزت الشرق الأوسط في آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلاميَّة وحدها أصيلة في تمثيلها لمطامح أهل هذه المنطقة.

فالليبراليَّة والفاشيَّة والوطنيَّة والقوميَّة والشيوعيَّة والاشتراكيَّة كلها أوربيَّة الأصل، مهما أُقْلِمَتْ وعدِّلت في الشرق الأوسط. والمنظمات

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين (٢/٢١١)، نشر مكتبة الآداب، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، وانظر: وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي لجب وآخرين صـ ٢٣٨، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة.

QaradawiBooks.com

الإســلاميَّة هي الوحيدة الَّتي تنبع من تراب المنطقة وتعبِّر عن مشــاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة.

وبالرغم من أنَّ كل الحركات الإســلاميَّة قد هزمت حتَّى الآن، غير أنَّها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة. اهـ.

بعض ثمار الحركة الإسلاميَّة:

على أنَّ الحركة الإســلاميَّة بشــهادة الأنصار والأعــداء، قد حقَّقت نجاحًا ملموسًا في ميادين شتَّى لا يجحدها إلَّا مكابر:

١ ـ لقد صحَّحت الحركة المفاهيم الإسلاميَّة الَّتي شوَّهتها عصور الجمود، أو عهود الاســتعمار، وطاردت الغزو الثقافي الَّذي خلا له الميدان في بعض المراحل واســتعبد عقول كثيــر من المثقفين من أبناء أمتنا.

وأغنت المكتبة الإســلاميَّة بعددٍ غير قليل من الكتب والرسائل في مختلف جوانب الثقافة اللازمة للمســلم المعاصر، حتَّى أثَّرت في عدد من الكُتَّــاب الَّذين كان ولاؤهم للفكر الغربــي، فاتجهوا بكتاباتهم إلى الإسلام، وبذلك أحدثت تيارًا فكريًّا ضخمًا كان له أعمق الأثر في تغذية الاهتمــام بإحياء التــراث الإســلامي، ونشــره وتوجيه الدراســة إلى الموضوعات الإسلاميَّة في الجامعات حتَّى المدنية منها.

٢ ـ أعادت الحركة لجماهير المسلمين الشــعور بالذاتية الإسلاميَّة، وبالانتماء إلى خير أُمَّةٍ أخرجت للناس، وزرعت الأمل في قلوبهم بغدٍ مشرقٍ للإســلام بعد يأسٍ غذَّاه طولُ الهزائم والنكسات من جراء الغزو الخارجي والطغيــان الداخلي، وحطَّمت الحركة الهالــة الَّتي قُدِّمت بها

QaradawiBooks.com

الحضـــارة الغربية وجعلت منها صنمًا يُعبَد، وحرَّرت نفس المســـلم من الشعور بالدونية والهزيمة الروحية أمام تلك الحضارة الَّتي كاد سنا برقها يذهب بالأبصار، ويخلب الألباب. وبخاصة أنَّهـــا جاءتنا وهي في أوج قوَّتها وتقدُّمها، ونحن في حضيض ضعفنا وتخلُّفنا.

٣ ـ أنشـــأت الحركة جيلًا من المسلمين والمســـلمات، والملتزمين بالإسلام: اعتقادًا وتعبُّدًا، وفكرًا وســـلوكًا، ودعوةً وجهادًا. ولا زال هذا الجيل ينمـــو ويتكاثر يومًـــا بعد يوم في أنحاء شـــتى مـــن أرض الأُمَّة الإســـلاميَّة، وهو جيلٌ ربانيُّ الواجهة، قرآنيُّ الخُلُـــق، محمديُّ القدوة، إسلاميُّ الأفكار والمشاعر، قدَّم الشهداء بعد الشهداء في ميادين الجهاد في ســـبيل الله، ضدَّ الاســـتعمار والصهيونية في الخارج، وضدَّ الطغيان واللادينيَّة في الداخل.

وهو جيل استعصى على التذويب برغم تتابع المحن القاهرة، والتي استخدم فيها من أدوات التعذيب ووسائل القهر ما يذيب الحديد. عذبوا الأبدان، وأزهقوا الأرواح، وجوعوا البطون، وقهروا الأنفس، ولم يزدهم ذلك إلَّا إيمانًا وتسليمًا.

٤ ـ وكوَّنـــت الحركة كذلـــك ـ وراء هذا الجيل الملتـــزم ـ رأيًا عامًّا إسلاميًّا، يناصر الإســـلام ويحبُّ دعوته، ويظهر الولاء لشريعته، وينكر الإلحاد والإباحية والعلمانية. وقد ظهر ذلك في التنادي بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة وضرورة الرجوع إلى أحكامها، والنصِّ في كثير من الدساتير على أنَّها المصدر الأول أو الرئيســـي للتشريع، واستجابة بعض الحكام لصوت الجماهير المنادية بذلك بالفعـــل، ولا زالت القاعدة الجماهيرية الموالية للإســـلام ـ المنكرة للعلمانية ـ تتسع يومًا بعد يوم، حتَّى غدت

QaradawiBooks.com

الأحزاب السياسيَّة العلمانية الأصل تتملَّقها وتلتمس رضاها وتأييدها في الانتخابات النقابية، معلنةً قبولها لحكم الشريعة والدعوة إليها!

٥ ـ كما أسهمت الحركة الإسلاميَّة بأكبر نصيب في إيجاد ما اصطلح على تسميته بـ «الصحوة الإسلاميَّة» المعاصرة، الَّتي شملت أعدادًا لا تحصى من المثقفين من الفتية والفتيات، في شتى أقطار العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي أيضًا في أوربا وأمريكا والشرق الأقصى، وكان لها أثرها في الجهاد الإسلامي في أفغانستان والفلبين وغيرهما، وفي إقامة البنوك والمؤسسات الاقتصاديَّة الإسلاميَّة، وفي انتشار الكتاب الإسلامي حتَّى ضرب الرقم القياسي في سوق التوزيع.

فهي بحق صحوة فكر وعاطفة وسلوك، كما لمسنا آثارها في بلاد الله الرحبة.

ولهذا ليس من العدل أنْ نقول: إنَّ الحركة أخفقت في مهمتها، فإنَّ مهمتها ذات شعب متعددة، وكل فرد مسلم تكسبه الحركة، وتنقله من حمأة الجاهلية الحديثة، أو من صحراء التيه والضياع إلى دائرة الالتزام الفكري والخلقي للإسلام، يعدُّ مكسبًا ذا بال، وتحقِّق به الحركة جزءًا من أهدافها، كما يقرِّبها من أهدافها الأخرى. وفي الحديث الصحيح: «**لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**»[1].

وكانت الحركة الإسلاميَّة ـ بفكر علمائها، وصبر دعاتها، وصمود أبنائها، وتضحيات شبابها وشيوخها، وغنى تاريخها ـ هي الَّتي هيَّأت لهذه الصحوة أنْ ترى النور وأنْ تبرز إلى حيز الوجود والتأثير.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

ومن العدل أنْ نسـجِّل للحركة الإسـلاميَّة تطوُّرهـا الجديد في أفكارها وعلاقاتها.

فقد رأينا الإخوان المسـلمين في مصر (سـنة ١٩٨٤م) يتعاونون مع حزب الوفد الجديد في خوض معركة الانتخابات، والوصول إلى مجلس الشعب، لإسماع صوت الدعوة الإسـلاميَّة لنواب الأُمَّة، وإنْ أنكر ذلك بعض المتشددين.

ورأينا إخوة آخرين يتحالفون مع القـوى الوطنية المعارضة، للعمل على إسـقاط نظام طاغوتي يقاوم الإسـلام جهرة، رغم تشـنُّج فئة من المخلصين الَّذين يرفضون أي تحالف أو تفاهم مع أي فرد أو هيئة أو فئة غير ملتزمة بالإسلام.

ورأينا بيان الحركة الإسلاميَّة في سـوريا يتضمن مواقف جديدة متطـورة، في برامجهـا الإصلاحية والسياسـيَّة، وعلاقاتهـا الوطنية والدولية.

ورأينا الجماعة الإسلاميَّة في باكستان في بيانها الانتخابي في حياة الإمام المودودي تتبنى إلزامية الشـورى، على غير ما رآه المودودي من قبل، وتوافق على مبدأ إعطاء حق الإضـراب عن العمل، رفعًا لظلم، أو طلبًا لحقٍّ، لا ينال إلَّا بهذا الطريق، إلى غير ذلك من آراء ومواقف فيها كثير من السعة والمرونة، وقد كانت مرفوضة لديها من قبل.

مزيد من العمل والعطاء:

ومع هذا، فإنَّ على الحركة الإسـلاميَّة أن تضاعف الجهد، وتكثِّف العطاء، حتَّى تحقِّق الآمال المنوطة بها.

QaradawiBooks.com

على الحركة أنْ تنتقل مـــن مرحلة الكلام إلى مرحلـــة العمل، وأن تتحرر من تلك الآفة الَّتي غدت ظاهرة عامة بيننا نحن المسلمين، والتي غدت تعوق خطانا عن الســـير، وهي كثرة النواح علـــى الماضي، وقلة العمل للحاضر، والنواح لا يحيي ما مات، ولا يرد ما فات.

إنَّ آفتنا كثرة الشـــاكين المتوجعين، وقلة المداوين، كثرة من يسبُّون الظلام، وقلة من يوقدون الشموع.

أجل، كثرت الشـــكوى وتكررت من الأدواء والمآسي، حتَّى لم يعد هناك أحد إلَّا يشكو، فمن المشكو منه إذن؟ كلنا شاكٍ وكلنا مشكوٌّ منه.

ولقد حدَّثـــوا أنَّ واعظًا بليغًا وعظ الناس يومًـــا حتَّى بكوا من تأثير الموعظة، ثمَّ بحـــث عن كتابه فوجده قد سُـــرِق، ونظر إلى الحاضرين، عسى أن يلمح بينهم وجهًا يلوح عليه آثار الجريمة، ولكنَّه وجد الجميع يبكون، فقال لهم: كلكم يبكي، فمن سرق الكتاب؟!

والحركة الإسلاميَّة يلزمها أن تنتقل من دائرة الشكوى ولوم الزمان إلى دائرة العمل، والعمل المتواصل الدؤوب: العمل على مســـتوى الإسلام، ومســـتوى العصر، ومســـتوى ما يعمل الآخرون لأديانهم. العمل للحاضر والعمل للمستقبل، العمل لإقامة البناء، والعمل لحمايته من معاول الهدم.

ولا يعفينا من حساب الله، ولا من لوم الناس، ولا من سؤال التاريخ، ولا من تأنيب الضمير أن نقول: إنَّنا كنا ضحية لمخططات جهنمية دبَّرتها القوى المعادية للإسلام في الخارج، ونفَّذها عملاؤها في الداخل! فإلى متى نظل حقـــل تجارب لخطط الأعداء؟ وإلى متى نشـــكو من تخطيط غيرنا ضدنا، ولا نُخطِّط نحن لأنفســـنا؟ لماذا لا نقابل تخطيطهم الهدَّام بتخطيطٍ بَنَّاءٍ مضاد؟ ولا يفل الحديد إلَّا الحديد.

QaradawiBooks.com

العمل لكسب النخبة والجماهير معًا:

ولا بدَّ للحركة الإسـلاميَّة أن تعمل بجد وعـزم للوصول إلى قلب النخبة والجماهير، وإزالة ذلك السور الَّذي ضرب بين الحركة وبين عدد كبير من «النخبـة» أي المثقفين مـن جهة، وبينها وبين عـدد كبير من الجماهير من جهة أخرى.

فالنخبة من المثقفين قد غزاهم ـ أو غزا كثيرًا منهم ـ الفكر الدخيل، فأثَّر في أفكارهـم ومفاهيمهم، كمـا أثَّر في مشـاعرهم وولائهم؛ فهم لا يفهمون الإسلام إلَّا كما يفهم الغربي المسـيحية، ولا يسقطون على الإسـلام ما أسـقطه الغربيون على مسـيحيتهم، فهم يفترضون عداوة موهومة بين الإسلام والعلم، ومناقضة بين الشريعة والتطور، ويرون أنَّ مكان الدين في ضمير الفرد، أو تحت سـقف المسجد لا يتعداه. وهم يتخذون من التراث موقفًـا عدائيًّا، على حين يقدِّسـون كل ما جاء من الغرب ويضمرون الولاء له، والتقدير لرجاله، ويجعلون منه موئلًا وإمامًا.

ولا بدَّ للحركة الإسلاميَّة بكل مدارسها وجماعاتها وشخصياتها أن تبذل جهدًا أكثر من النخبة المثقفة، وأن تخاطبها بلسانها لتبيِّن لها، وأن تتعرف على ما لديها من شـبهات لتردَّ عليها بالعلم لا بالاتهام، أو من استفسـارات لتجيب عنهـا، وأن يقوم حـوار علمي هـادئ ممتد بينها وبينهم. ولا ريب أنَّ تغيُّرًا كبيرًا قد حدث بين المثقفين، وتغيرت مفاهيم الكثيرين منهم مما لقَّنـه لهم «الغزو الفكري»، وانضـم كثيرون كذلك لركب العمل الإسلامي.

والجماهير الَّتي قامت الحركة أساسًـا لتنهض بهم، وتأخذ بأيديهم وتعلِّم جاهلهم، وتنصف مظلومهم، قد استطاع الخصوم الدهاة المدربون

QaradawiBooks.com

أن يخوِّفوا أعدادًا منها من الحركة، وينفِّروهم منها، وينشروا من الأكاذيب حولها ما يزهدهم فيها، أو على الأقل يوئسهم من مستقبلها.

ولا بدَّ للحركة أن تعمل جاهدة على إذابة حاجز العزلة، وكسر هذا السور المفتعل، والوصول إلى قلب الجماهير الَّتي هي أولى الجهات بالتعبير عنهم، فهي منهم وإليهم وبهم. وجماهيرنا مؤمنة بفطرتها وتاريخها، وهي مع حركة الإسلام، ونداء الإيمان، كما يدل على ذلك استقراء الواقع، وقراءة التاريخ.

إنَّما تنجح الحركة يوم تكون حركة كل المسلمين لا حركة فئة من المسلمين.

ترشيد الصحوة الإسلاميَّة:

ولا بدَّ للحركة الإسلاميَّة من بذل الجهود الفكرية والعمليَّة لترشيد الصحوة الإسلاميَّة، وتسديد خطواتها على الطريق الصحيح، الَّذي يجنِّبها المزالق والعثرات، وينأى بها عن الغلو والتفريط، ويقيها السقوط في المهاوي الَّتي يحفرها لها الحفَّارون، أو تحفرها لنفسها بسوء تقديرها.

وقد دلَّت شواهد ووقائع كثيرة أنَّ هناك جهات أجنبية، وقوى معادية خفية تعمل بجد ودهاء، وتدبِّر في الظلام والخفاء، لإدخال هذه الصحوة في متاهات لا تستطيع الخروج منها، وإقحامها في معارك لا مبرر لها، وشغلها بالنوافل عن الفرائض، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه. كما تعمل على تغذية ما سمَّوه «التطرف الديني»، وتضخيمه واستخدامه لمصالحهم.

غير مرخصة للطباعة

وأنا لســت من الَّذين يحاولون ردَّ كل ما يحدث في مجتمعاتنا إلى مؤثرات أجنبية ومخططــات جهنمية: صهيونية أو صليبيَّة أو شــيوعية، تستخدم فيها بعض القوى المحلية من حيث تشعر أو لا تشعر؛ لأنَّ هذا التفكير يشعرنا في النهاية أنَّنا مســيَّرون لا مخيَّرون، كما تقول الجبرية الدينيَّة، أو أنَّنا «أحجار على رقعة الشطرنج» تُحرِّكنا وتُغيِّر مواقعنا القوى الكبرى بغير إرادتنا، كما تقوله الجبرية السياسيَّة!

وفي هذه القضيَّة أرى أنَّ ما ســمَّوه «التطرف الديني» أفرزته أسباب عديدة شــرحتها في كتابي «الصحوة الإسلاميَّة». وهي أسباب من داخل كياننا قبل كل شيء.

ولكنِّي لا أنكر أنَّ هناك قوى معادية لانتصار الإســلام، وعودته إلى قيادة المجتمع، اســتغلت هذه الظاهرة بخبث ودهــاء، وحرصت على تغذيتهــا لتكبر وتنمو ورمت لهــا بالوقود لتظل متأججــة ملتهبة. وهي بذلك تكسب جملة فوائد منها:

١ ـ تنفير جماهير الناس من ظهور الإســلام نظامًــا حاكمًا للحياة، ما دام الَّذين يدعون إليه ويجسدون صحوته، يتبنون التشديد والتضييق، وتحجير ما وسَّــع الله، وتعسير ما يسَّــر على عباده، على عكس ما قال النبي ﷺ لأصحابه: «**إنَّما بعثتم ميسِّرين ولم تُبعَثُوا معسِّرين**»[1]، وبذلك ينعزل الجمهور الَّذي ينشد اليسر ويكره العسر، عن الصحوة بل قد يقف منها موقف الجفاء أو الخصام، وفي هذا خسارة كبرى.

٢ ـ شغل جيل الشباب الَّذي يمثل العمود الفقري للصحوة الإسلاميَّة، بالمســائل الجزئية، والقضايا الجانبية، وتبديد جهوده الفكرية، وطاقاته

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العمليَّة في الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات، والمجادلة عنها والمخاصمة عليها، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية الكبرى، الَّتي تتصل ببقاء الإسلام، وسيادة أُمَّته، وتحرير أوطانه، وتحكيم شريعته في الأرض.

٣ ـ شغل القوى الإسلاميَّة المتحركة بعضها ببعض، فبدل أنْ توجِّه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك، تتصارع فيما بينها، وتتراشق بالتهم، حتَّى يصل الأمر إلى حدِّ التأثيم، بل التكفير. وبهذا يهدم بعضها بعضًا، ويخربون بيوتهم بأيديهم! والعدو المتربص يقف متفرجًا قرير العين بما يرى، ولا مانع عند اللزوم أن يتدخل ليجهز على البقية الباقية.

٤ ـ إعطاء السلطات المتربصة بالدعوة الإسلاميَّة ـ الَّتي تتوجس منها خيفة أو تضمر لها كرهًا ـ مبررًا لتضرب التحرك الإسلامي، والعمل الإسلامي كله، السوي منه والشاذ تحت مظلة محاربة «التطرف» ومقاومة «المتطرفين».

٥ ـ تيئيس الناس ـ في النهاية ـ من الإسلام ودعاته وأنَّ المد الإسلامي مصيره إلى جزر، والصحوة مآلها إلى نوم، وأن لا فائدة في أي عمل إسلامي ما دامت نتيجته أن يُضرب من الخارج أو يتآكل من الداخل.

ونصيحتي للحركة الإسلاميَّة أن تعمل على ترشيد الصحوة، ولا تحاول احتواءها والسيطرة عليها. فإنَّ من الخير للحركة، وللصحوة، ولأُمَّة الإسلام، أن تبقى هذه الصحوة حرة وعفوية وغير منسوبة إلى جماعة أو هيئة أو حزب، وهذه العفويَّة أو التلقائيَّة أو «الهلاميَّة» لها فائدتها في الامتداد الأفقي في مختلف شرائح المجتمع، دون عوائق نفسية أو اجتماعيَّة أو سياسيَّة، مما يعوق انتشار الدعوات ذات الاسم المعين والإطار الخاص، والتاريخ المعروف، والتي لها أعداء تقليديون، وخصوم

QaradawiBooks.com

منافســون، كما لها فائدتهــا في بقاء هــذه الصحوة بمعــزل عن إرهاب السلطات المستبدة، الَّتي تَعْجِز عن محاصرة هذه الصحوة أو ضربها.

خطوط عريضة لترشيد الصحوة:

وفي ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشــر بالجزائر (شوَّال ١٤٠٤هـ ـ يوليو ١٩٨٤م)، وكان موضوعه «الصحوة الإسلاميَّة»، تحدثتُ عن مستقبل هذه الصحوة بين الأمل فيها والخوف عليها.

وكان مما طرحته على الملتقى لترشــيد الصحــوة وتجنيبها المزالق والمآزق والعثرات ـ حتَّى تحقق الآمــال المرجوة منها، وتتقي المحاذير المخوفة عليها ـ أن تنتقــل من طور إلى طور، وترتقــي من مرحلة إلى مرحلة، بعد أن شــبَّت عن الطوق وأصبحت ظاهــرة عالمية لها تغلغلها وتأثيرها، وامتدادها طولًا وعرضًا وعمقًا، وخصوصًا بين الشباب المثقف.

وقد حددت برنامج هذا الانتقال أو التطور في عشرين نقطة أساسية، من شــأنها ـ إذا روعيت وتحققت ـ أن تجعل هذه الصحوة أهلًا لقيادة الأُمَّة كلها، وإزالة التناقض القائم بين عقيدتها المســتقرة في ضميرها، وبين واقعها الَّذي عزل فيه الإسلام عن قيادة الركب وحكم المجتمع.

ويكفيني هنا أنْ أشــير إلى عناوين هذه النقاط العشرين، الَّتي تمثل الخطوط العريضة لمستقبل الصحوة المنشودة في فهم الإسلام، والدعوة إليه، والعلاقة بالآخرين من العاملين لــه، والقاعدين عنه من أبناء أُمَّته، ومن الجاهلين به، والخائفين منــه، والطامعين فيه، والحاقدين عليه من غير أُمَّته.

لا بدَّ أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١ ـ من الفروع والجزئيَّات إلى الأصول والكُلِّيَّات.

٢ ـ من النوافل إلى الفروض.

٣ ـ من المختلف فيه إلى المتَّفَق عليه.

٤ ـ من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب.

٥ ـ من طرفي الغُلُوِّ والتفريط إلى الوسطيَّة والاعتدال.

٦ ـ من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

٧ ـ من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد.

٨ ـ من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.

٩ ـ من العاطفية والارتجال إلى العمليَّة والتخطيط.

١٠ ـ من التعصب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم.

١١ ـ من الإثارة إلى التفقه (أو من أسلوب الوُعَّاظ إلى أسلوب الفقهاء، أو من حماس المنبر إلى هدوء الحلقة).

١٢ ـ من الكمِّ إلى الكيف (أو من الاهتمام بتزايد الأعداد ولو على حساب التربية إلى العناية بالتربية ولو على حساب العدد).

١٣ ـ من سماء الأحلام إلى أرض الواقع (أو من المثالي المنشود إلى الممكن الموجود).

١٤ ـ من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له (أو من موقف ممثِّل الاتهام إلى موقف الطبيب).

١٥ ـ من الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر، والإعداد للمستقبل.

QaradawiBooks.com

١٦ ـ من الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي.

١٧ ـ من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون.

١٨ ـ من إهمال شؤون الحياة إلى التعبد بإتقانها.

١٩ ـ من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة.

٢٠ ـ من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو في إثبات الذات إلى نقد الذات).

هذه هي المنطلقات العشرون والتي اعتبرت بمثابة «ورقة عمل» لتوجيه الصحوة الإسلاميَّة، ومن باب أولى: الحركة الإسلاميَّة.

ولا ريب أنَّ كل نقطة منها تحتاج إلى شرح وتحديد وتفصيل، أرجو أن يوفقني الله إلى معالجته في المستقبل.

العمل الاجتماعي:

ولا بدَّ للحركة الإسلاميَّة أنْ تُحدِّد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دينها وأمتها، وألَّا يستهلك العمل السياسي كل جهودها ووقتها.

ومن ذلك: الميدان الاجتماعي الَّذي قصَّر فيه المسلمون تقصيرًا شائنًا، واستطاع أعداؤهم أن يستغلوه لنشر أديانهم المحرَّفة بين الجياع والمرضى والأميين والمشرَّدين من أبناء أُمَّتنا.

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين «الهيئة الخيرية الإسلاميَّة العالمية» الَّتي تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع، والكساء للعاري، والدواء للمريض، والرعاية لليتيم، والإيواء للمشرد، والتعليم للجاهل،

QaradawiBooks.com

والتشـــغيل للعاطل، والتدريب للعامل، والمشـــاركة الجـــادة في تنمية المجتمعات الإسلاميَّة من داخلها.

وقد رأينا إمامًا مثل حســـن البنا يعطي العمل الاجتماعي من دعوته وحركته عناية بالغة، ويجعله أحد أهدافها الأساسية، وينشئ في كل شعبة قســـمًا للبر والخدمة الاجتماعيَّة، مهمته تنظيم فعل الخير، والدعوة إليه على كل صعيد.

إنَّ بعض الحركات أو الأحزاب الإســـلاميَّة تُحرِّم على نفسها العمل لخير الناس أو مســـاعدتهم حتَّى تقوم الدولة الإسلاميَّة المرجوة، فكل مهمتهم هو «الانتظار» علـــى طريقة «انتظار المهدي» الَّذي تنشـــق عنه الأرض، أو تنفرج عنه السماء، في يوم وليلة!

و«مهدي» هؤلاء هو الدولة أو الحكم الإسلامي المنتظر، فهم واقفون في طابور الانتظار، بلا عمل يذكر، حتَّى يتحقَّق موعودهم!

حتـــى إنَّ منهم مـــن غلا، فقـــال: لا جهـــاد إلَّا تحت رايـــة الدولة الإسلاميَّة، ولا دولة فلا جهاد. وبعبارة أخرى: تحت راية الإمام ولا إمام! ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلَّا في ظل الدولة المنشودة! وبقي عليهم أن يقولوا: لا صلاة ولا زكاة إلَّا بعد قيام الدولة!

العمل من الجميع:

وإنَّ من آفاتنا كذلك كثرة المتفرِّجيـــن، وانتظار العمل من الآخرين. والواجب أن يعمـــل الجميع، كل على قدر جهـــده وطاقته ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

QaradawiBooks.com

لا ينبغي أن ننتظـر العمل من الحـكام وحدهم، ولا مـن العلماء وحدهم، ولا من أصحاب المال أو الجاه أو الثقافة وحدهم، وإنَّما ننجح حقًّا يوم نستطيع أنْ نحرِّك الجماهير المسلمة الغفيرة بالإسلام وللإسلام، كما فعل اليهود حين حرَّكوا يهود العالم كله من أجل أرض الميعاد، رغم تفرُّقهم في أقطار الدنيا وتقطيعهم في الأرض أممًا.

فعلينا أنْ نُحرِّك المسلمين كلَّ المسلمين ليقوم كلٌّ بدوره قدر وسعه، للرجل دوره، وللمرأة دورهـا، وللصبي والكبير، وللغني وللفقير، المهم أنْ يعمل الجميع، وأنْ يوضع كلٌّ في مكانه الملائم، من استطاع أن يميط شوكة عن طريق فليمطها، من أمكنه أن يبذر حبة في الأرض فليبذرها.

من قدر على أن يعطي درهمًا واحدًا فليبذله ولا يسـتقله، ولا يبالي بسخرية الساخرين من أهل النفاق ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

ومن يدري؟ لعلَّ درهمًا واحدًا أثقل في الميزان عند الله من ألف، بل من مائة ألف.

وفي حديث رسول الله ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم**»! فقال رجل: وكيف ذاك يا رسـول الله؟ قال: «**رجل له مال كثير، أخذ من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدَّق بها. ورجل ليس لـه إلَّا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، فهذا تصدق بنصف ماله**»[1].

(١) رواه النسـائي (٢٥٢٧)، وابن خزيمة (٢٤٤٣)، وابن حبان (٣٣٤٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم (٤١٦/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، جميعهم في الزكاة، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الإسلام لا يهوِّن من قيمة أي عمل صالح، وإن ضؤل حجمه، أو صغرت مساحته، أو قلَّ عدده. وهو يقرِّر أنَّ مثقال الذرة أو حبة الخردل من عمل الخير لا تضيع عنـد الله، كل ما يهمه هنا هو الروح المصاحبة للعمل، والنية الباعثة عليه.

فإذا كان وراءه نية صالحة وهدف رفيع، فإنَّ الله يتقبل العمل بيمينه، ويضاعف الجزاء لصاحبه، وإن كان في صورته وكمِّه شيئًا قليلًا.

هذا ما يُقرِّره القـرآن صراحةً في آياته حيـث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

كلمة ختام:

وفي ختام هذه الصحائف نعود للسؤال الأصلي: أين الخلل؟

ونعود فنجمل الجواب، ونقول: إنَّه خلل عام وشـامل، والمسؤولية موزعة على الجميع وإن تفاوتت مقاديرها.

إنَّه ليس خللًا في الحركة الإسـلاميَّة وحدها، بل هو خلل في الأمة الإسلاميَّة جمعاء.

وإنْ شئنا الصراحة، قلنا: إنَّه خلل في داخل كلٍّ منَّا، في أنفسنا الَّتي بين جنوبنا، في حبنا لذواتنا، وطوافنـا حولها كما يطوف الوثني بوثنه،

QaradawiBooks.com

في محاولتنا تبرئة أنفسنا واتهام غيرنا، وإلقاء التبعة على كل أحد سوانا، يرى كلٌّ منا القذى في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عينه!

أجل، الخلل في كلٍّ منا، فهو يطلب من المسلمين أن يعملوا وهو فارغ، وأن يجاهدوا وهو قاعد، وأن يبذلوا وهو شحيح، وأن يضحُّوا وهو متفرج!

الخلل في كلٍّ منا، حيث يؤمن بالله ولا يطيع أمره، ويحبُّ رسول الله ولا يتَّبع نهجه، ويريد الجنة ولا يسعى لها سعيها، ويخاف النار ويسلك سبيل أهلها، ويفخر بالانتساب إلى الإسلام ولا يعمل لنصرته.

فطوبى لمن بدأ بإصلاح نفسه، ثمَّ بدعوة غيره، ووضع يده في يد كل من كان على شاكلته من أهل الخير، غير متبرم بيومه، ولا يائس من غده، واثقًا من نفسه، معتزًا بدينه، مؤمنًا بربه، آملًا في نصره الَّذي وعد به المؤمنين.

ورغم اتساع الخلل، فإنَّ سدَّه ممكن، وبواعث الأمل في انتصارنا أكبر من عوامل اليأس والقنوط.

وممَّا يقوي رجاءنا في المستقبل:

١ ـ أنَّ معنا الحق الَّذي قامت به السماوات والأرض، وبعث الله به خاتم رسله، وأنزل به آخر كتبه، والذي يحمل الهداية للفرد والسكينة للأسرة، والتماسك للمجتمع، والخير للإنسانية.

٢ ـ وأنَّ معنا فطرة الإسلام الَّتي فطر الله الناس عليها، والتي يرجع إلى حظيرتها كل يوم أعدادٌ غفيرة، تهتدي بعد ضلال، أو تتوب بعد معصية، أو تستقيم بعد انحراف في الفكر أو في السلوك، أو تتنبَّه بعد غفلة وطول رقاد، وتنضم إلى قافلة العائدين إلى موكب الإسلام.

QaradawiBooks.com

٣ ـ وأنَّ معنا شعوب الأُمَّة الإسلاميَّة، الَّتي غدا الإسلام لُحْمتها وسداها، وأصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانها العقلي والنفسي والاجتماعي، فلا يمكنها أنْ تعيش وتحقق ذاتها إلَّا بالإسلام، ولا يحركها شيء كما تحركها كلمة الإسلام. وقد جَرَّبت «الحلول المستوردة» من الشرق والغرب، فلم تُحقِّق بها أملًا، ولم يبق إلَّا «الحل الإسلامي» منقذًا.

٤ ـ وأنَّ معنا مصلحة الإنسانية، الَّتي شقيت بفلسفات البشر، وتشريعات الأرض، فما عاد يسعدها إلَّا هداية السماء، ولا توجد هذه الهداية نقيَّةً مصفاةً إلَّا في رسالة محمد ﷺ الَّتي حفظ الله كتابها، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٥ ـ ومعنا قبل ذلك كله وبعده: تأييد الله تبارك وتعالى، الَّذي وعد بنصر من ينصره، وتكفَّل بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون، وأن يتم نوره، وإن كاد له الكائدون: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	١٨
﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	٨٧	٢٨
﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾	١٤٠	٢٠
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٩، ٤٩
سورة آل عمران		
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٩
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾	١٥٢	٣١
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾	١٦٥	٤، ٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	٢٠٠	٤، ٤٦
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾	٤٠	٧٦
﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٧٧	٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾	١٣٥	٥٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾	٨	٥٣
﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	٥٦	٣٨
﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾	٥٨	١٣
سورة الأنعام		
﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾	٩٨	١٣
﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	١٠٥	١٣
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	١٧
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	١٩
سورة الأعراف		
﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾	٥١	١٩
﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾	٨٦	١٨
سورة الأنفال		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٢، ٦٣	٤١
﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	٦٥	١٣
سورة التوبة		
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾	٢٥	٥٠
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾	٣٢، ٣٣	٧٨
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٢٤
﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	٧٩	٧٥
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾	١٢٢	٤٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	١٩
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٧	٣٢
سورة الحجر		
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٢٩	١٨
سورة النحل		
﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾	١٢٧	٤٦
سورة طه		
﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾	٨٣ ـ ٨٥	٤٧
﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾	٩٢ ـ ٩٤	٤٨
سورة الأنبياء		
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾	٤٧	٧٦
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	٩
سورة الحج		
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٢٢
﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾	٤٥	١٦
سورة الروم		
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	٤٦
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾	٣٣	٤، ٦٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾	٣٥	٤٦
سورة الحشر		
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾	١٩	٩
سورة الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾	٢، ٣	١٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾	٤	٣٦
سورة التغابن		
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾	١٦	٤٧، ٧٤
سورة الملك		
﴿ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾	٢	١٣
﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	١٤	٢٠
سورة نوح		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾	٥ ـ ٧	٢٨
سورة الشمس		
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	٩، ١٠	١٩
سورة العلق		
﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾	١	١٢
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾	٧	٧٦

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا أمرتُكم بأمرٍ فَأْتُوا منه ما استطعتُم	٤٧
إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد	٥
استعنْ بالله ولا تَعْجِز	١٧
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من العجز والكسل	١٧
إنَّ الله يلومُ على العجز، ولكن عليك بالكَيْس	١٧
أنَّ النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة طلب إحصاءً بعدد من يلفظ بالإسلام	٤٢
الأناة من الله، والعجلةُ من الشيطان	٥، ٤٨
إنَّما بعثتم ميسِّرين ولم تُبعَثُوا معسِّرين	٦٩
ت	
تقوم الساعة والروم أكثر النَّاس	٥١
ث	
ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما	٤٠
ح	
حبُّ الدنيا وكراهية الموت	٢١

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
سبق درهم مائة ألف درهم! فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟	٧٥
ط	
طلب إحصاءً بعدد من يلفظ بالإسلام	٤٢
ف	
فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ	٥
ك	
كان خُلُقه القرآن	١٥
كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته	٢٣
كما تكونوا يُولَّى عليكم	٢٢
الكيِّس من دان نفسه	٢٩
ل	
لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم	٦٤
لو قامت الساعةُ وفي يده فسيلةٌ، فإن استطاع ألَّا يقوم حتَّى يغرسها، فليغرسْها	١٣
م	
من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٥، ٤٧
ي	
يُستجابُ للعَبْدِ ما لم يَعْجَلْ؛ يقولُ: دعوتُ، ولم يُسْتَجَبْ لي	٤٨

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

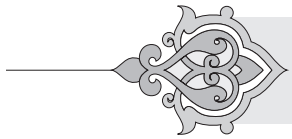

فهرس الموضوعات

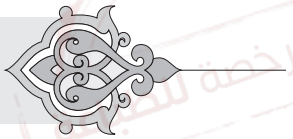

- **من الدستور الإلٰهي للبشرية** ٤
- **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥

❖ **وقفة مع الأُمَّة الإسلاميَّة** ٧

إنَّه ليس خللًا بل غَيْبة عن الوعي ٨

أُمَّة نسيت نفسها ٩

أُمَّتنا في ضوء معايير التقدُّم المادي ١٠

أُمَّة معطلة الطاقات ١٠

طاقاتنا العقليَّة معطَّلة ١١

طاقاتنا العمليَّة مُعَطَّلة ١٣

طاقاتنا الاقتصاديَّة معطلة ١٥

طاقاتنا العدديَّة مُعَطَّلة ١٧

طاقاتنا الروحية معطلة ١٨

من المسؤول؟ ٢١

مسؤولية الحكام ٢١

مسؤولية العلماء ٢٢

مسؤولية الجماهير ٢٣

مسؤولية الحركة الإسلاميَّة ٢٤

❖ **وقفة مع الحركة الإسلاميَّة** ٢٥

مدى مسؤولية الحركة ٢٧

QaradawiBooks.com

أولًا: ضعف النقد الذاتي ٢٩
ثانيًا: الانقسام والاختلاف ٣٤
ثالثًا: غلبة الاتجاه العاطفي على الاتجاه العقلي والعلمي ٣٩
أهمية العاطفة في الحركة الإسلاميَّة ٣٩
ماذا نريد بغلبة العاطفية؟ ٤١
١ ـ قصور الدراسة والتخطيط ٤١
٢ ـ العجلة ٤٥
٣ ـ المبالغة ٤٩
رابعًا: الخوف من التجديد ٥٣

❖ **إلى الأمل والعمل ٥٨**
أنصفوا الحركة الإسلاميَّة ٥٨
المناخ الَّذي تعمل فيه الحركة الإسلاميَّة ٥٩
الحركة باقية ماضية ٦٠
بعض ثمار الحركة الإسلاميَّة ٦٢
مزيد من العمل والعطاء ٦٥
العمل لكسب النخبة والجماهير معًا ٦٧
ترشيد الصحوة الإسلاميَّة ٦٨
خطوط عريضة لترشيد الصحوة ٧١
العمل الاجتماعي ٧٣
العمل من الجميع ٧٤
كلمة ختام ٧٦
وممَّا يقوي رجاءنا في المستقبل ٧٧

❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٨١**

❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٨٥**

❖ **فهرس الموضوعات ٨٧**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية